HNSJ Humanitarian & Natural Sciences Journal
ISSN: (e) 2709-0833
www.hnjournal.net
مجلة العلوم الإنسانية والطبيعية
مجلة علمية محكمة

عنوان البحث

الاغتراب الفلسفي في رواية زرايب العبيد لنجوى بن شتوان

أ. د. صبحية عودة زعرب[1]

1 أستاذ مشارك، جامعة صبراتة –كلية الآداب والتربية –ليبيا، البريد الالكتروني sobhiaauda@yahoo.com

نقال: 00218927745813

تاريخ القبول: 2020/11/29م تاريخ النشر: 2020/12/01م

المستخلص

تكمن أهمية هذا البحث في استحضار تاريخ مهمل ومهمش ، يجسد أعتى مرحلة عبودية عرفها التاريخ الليبي منذ نهاية العصر العثماني ، وبداية الاحتلال الإيطالي حتى عام الاستقلال عام 1951، وذلك من خلال تجارة الرق وما يتعرض له العبيد من عذاب على يد أسيادهم البيض ، استنادا على علاقة عاطفية محرمة اجتماعيا تربط العبدة تعويضة بالسيد محمد بن شتوان الأبيض ، وما أثارته هذه العلاقة من تساؤلات فلسفية وعقائدية ، وثقافية .

أما هدف هذه الدراسة فيكمن في معرفة العلاقة بين الفلسفة والأدب ، وبخاصة فن الرواية ، للوقوف أمام أسباب الاغتراب وعلاقته بالفلسفات الغربية معرفة علمية وموضوعية ، وللإجابة على السؤال المحوري ، هل الفلسفة وليدة الواقع أم الواقع وليد الفلسفة ؟ وذلك من خلال منهج سوسيو/ ثقافي يهتم بالبنيات السيميائية الدالة ، المتوارية خلف البنيات السطحية المباشرة التي تقبل التعددية والتأويل لعلاج قضايا المهمشين والمغتربين والمهجرين ، تتصدرهم قضية تحرير المرأة على وجه الخصوص .

وقد أسفرت هذه الدراسة عن جملة من النتائج والتوصيات نختار منها الأهم وهي على النحو التالي :

-استندت الكاتبة على فلسفة إيديولوجية ذاتية بعيدا عن الوثائق الرسمية لتميط اللثام عما لم يذكره التاريخ ، ولتقارن بين عبودية الأمس ، وعبودية اليوم .

-نسجت الكاتبة خيوط تجربتها الإبداعية من سيرتها الذاتية والفكرية ، وأخذت الرواية تعج بالفلسفة الوجودية تارة ، والماركسية تارة أخرى .

- ارتبط الاغتراب بالفلسفة ارتباطا وثيقا وبخاصة الوجودية ، وقد بينت الدراسة أنها وليدة الواقع وتدهور القيم الأخلاقية والإنسانية .

الكلمات المفتاحية: السيد، العبد ، الحب ، الحرية ، الغربة ، الهوية.

RESEARCH ARTICLE

THE PHILOSOPHICAL ALIENATION IN NAJWA BIN SHATWAN'S NOVEL ZARAYEB AL-UBAID

Prof. sobhia auda Zoroub[1]

[1] Co-professor, Sabrata University - Faculty of Arts and Education - Libya.
Email sobhiaauda@yahoo.com
Mobile: +218927745813

Accepted at 29/11/2020 **Published at 01/12/2020**

Abstract

The importance of this research lies in evoking a neglected and marginalized history, embodying the most difficult stage of slavery in Libyan history since the end of the Ottoman era, and the beginning of the Italian occupation until the year of independence in 1951, through the slavery trade and the suffering that slaves are subjected to at the hands of their white masters, based on a relationship A socially forbidden affectionate linking the slave woman TAWEDHA to Ms. Muhammad Ibn Shatwan al-Abyad, and the philosophical, ideological, and cultural questions raised by this relationship.

The aim of this study is to know the relationship between philosophy and literature, especially the art of the novel, to stand in front of the causes of alienation and its relationship with Western philosophies with scientific and objective knowledge, and to answer the central question: is philosophy born of reality or reality born of philosophy? And that is through a socio-cultural approach concerned with the semantic structures that are hidden behind the direct superficial structures that accept pluralism and interpretation to address the issues of the marginalized, expatriate and displaced, with the issue of women's emancipation in particular.

This study resulted in a set of results and recommendations from which we choose the most important and are as follows:

The author relied on a subjective ideological philosophy away from official documents to reveal what was not mentioned by history, and to compare the slavery of yesterday with the slavery of today.

The writer wove the threads of her creative experience from her biography and intellectual, and the novel began to teem with existential philosophy at times, and Marxism at other times.

-Alienation has been closely linked with philosophy, especially existentialism, and the study has shown that it is a product of reality and the deterioration of moral and human values.

Key Words: master, slave, love, freedom, alienation, identity. Prepare:

مقدمة

الثقافة علامة سيميائية دالة تشي بحضارة الأمم ورقيها ، ولكل ثقافة فلسفتها الخاصة التي تعبر عنها . وفي خضم الصراعات والحروب والأزمات التي تشهدها الأمة العربية اليوم ، تركت ثقافة العنف والإرهاب والتطرف بصمتها على العلاقات الإنسانية برمتها ، فتراجعت لغة العقل والحكمة والأخلاق ، وشعر الإنسان بأنه مقذوف في عالم ينبذه ، فآنس الوحدة ، والاغتراب ، والاعتزال عن التكيف مع الآخرين، وهي معطيات لا تخلو منها الفلسفة الوجودية والعبثية .

ولما كانت الرواية هي أقدر الأجناس الأدبية على استيعاب التحولات الثقافية ، والتيارات الفلسفية ، فقد اخترنا رواية ، زرايب العبيد للكاتبة الليبية ، نجوى بن شتوان لتكون منطلقا لموضوع دراستنا باعتبارها من أبرز الأصوات النسوية التي عرفت مدوناتها بالوعي الأبستمولوجي ذو النزعة الفلسفية ، ولعل ذلك يعود إلى ظروفها المعيشية والعلمية وعشقها للعزلة ، وبخاصة إقامتها في إيطاليا التي أتاحت لها الاطلاع على الفكر الأوروبي والفلسفات الغربية ، فجاءت روايتها هجينا من الأدب والفلسفة ،و تعج بالأسئلة الوجودية والفكرية العميقة . تقف الرواية عند أعتى مرحلة عبودية عرفها التاريخ الليبي ، منذ نهاية الحكم العثماني ، وأوائل الاحتلال الإيطالي حتى عام الاستقلال عام 1951 م.لكنها لم تقف عند هذا الحد ، بل امتد صداها إلى اليوم ، حيث اعتمدت الكاتبة على رؤيتها الفكرية والنفسية الفردية ، وذاكرة الجدات بعيدا عن السرد التاريخي ، والوثائق الرسمية . مؤسسة اتجاها تاريخيا فلسفيا ينتمي إلى ما بعد الحداثة ، مستندة على تجارة الرق في ليبيا ، وبخاصة في مدينة بنغازي مسقط رأسها للحديث عن القضايا المعاصرة تتصدرها قضية المرأة . حيث قاربت بين كينونة المرأة ، وكينونة العبد من خلال استحضار ظاهرة استجلاب ذوي البشرة السوداء من شمال أفريقيا للعمل كخدم في بيوت الأسياد من ذوي البشرة البيضاء واستخدام أقسى أساليب التعذيب و الوحشية في معاملتهم ، واختزال جسد المرأة في مادة رخيصة تباع وتشترى لإشباع رغبات وغريزة سيدها، لذا نهضت محمولات النص على ثنائية : الأسياد /والعبيد ، الأبيض / والأسود ، القوة / والضعف .الصوت / والصمت .

وهنا تكمن أهمية هذه الدراسة : في محاورة النص واستنطاقة ، للكشف عن التقنيات الفنية والجمالية والدلالية ، والوسائل الأسلوبية التي استخدمتها الكاتبة ليس لتحرير المرأة فحسب وإنما تحرير وطن بأكمله .جاعلة من حرية المرأة مقياسا حقيقيا لنهضة الشعوب ورقيها .وهي رؤية تقارب رؤية سيمون دي بوفوار الفرنسية في نضالها لتحرير المرأة .

أما حدود البحث وأسئلته : فتتمثل في تجاوز أحداث الرواية المستويات المكانية والزمانية التي يشير إليها العنوان لنكتشف بأننا نقرأ أنفسنا في القرن الحادي والعشرين . وهنا يطرح البحث أسئلته : ألم تكن عنصرية الرجل الأبيض واستعماره للشعوب الضعيفة والتحكم في مصيرها وحريتها اليوم شكلا من أشكال العبودية ؟ ،ألم تكن الهجرة القسرية الجديدة لذوي البشرة السوداء ومقابلة الموت شكلا من أشكال العبودية ؟ ألم يكن نظام العالم الجديد وفرض القوة النيتشوية والاعتداء على الضعفاء وتجريد هم من هويتهم الوطنية والقومية والثقافية شكلا من أشكال العبودية ؟ ألا يمثل نظام الكفيل شكلا من أشكال العبودية ؟ ألم يكن انتشار الفلسفات العدمية ثمرة النظام الأحادي الجديد ؟ وهل استطاعت الكاتبة حل مشاكل العبودية وتذليل الصعاب ا أمام حرية المرأة باعتبارها رمزا للحرية الإنسانية ؟

إن هذه التساؤلات تنم عن القلق الوجودي والصراع النفسي الذي تشعربه الكاتبة نفسها خاصة وقد تناولت معظم كتاباتها قضاياالمقهورين والمهجرين والمغتربين ، واختارت قضية (تجارة الرق والعبودية) عنوانا لإنجاز أطروحة (الدكتوراه)بإيطاليا .

من هنا يمكن تحديد هدف البحث : في تحليل المنطلقات الفكرية والفلسفية والثقافية والدينية والتراثية السائدة للوصول إلى معرفة أسباب الاغتراب الفلسفي معرفة موضوعية وعلمية . حيث تشي التساؤلات السابقة بأزمة وجودية قرأناها في رواية الغريب لألبير كامو . ورواية اللامنتمي . لكولن ويلسن . والغثيان لسارتر ، كما طرحت الكاتبة قضايا وجودية وحضارية ودينية. .تتمحور

أغلبها في جدلية : الحياة /والموت . الوجود/ والعدم . المركز / والهامش . الاتصال / والانفصال . الحرية / والعبودية . المعقول / واللامعقول .

أما إشكالية البحث : فتتمثل في فوضى المصطلحات ، والمفاهيم الخاطئة لبعض الفلسفات ، وتطبيق تيارات فلسفية لا تنسجم مع ثقافتنا العربية ، ورفض بعض الفلسفات بحجة أنها وافدة وتقوم على الفكر الإلحادي كالوجودية مثلا . ليفرض البحث سؤاله : هل الفلسفة الوجودية ثمرة الواقع أم الواقع ثمرة الفلسفة الوجودية ؟ ولما كانت لغة الرواية تنزع إلى التأويل والتعددية ، فقد رأت هذه الدراسة أن تعيد النظر في المؤثرات الثقافية والتراثية والفلسفية التي تعيق تحرير **الإنسان وبنائه من جديد ، وذلك من خلال منهج لساني مركب ينتمي إلى مقاربة (سوسيو / ثقافية) تبحث في البنيات العميقة المضمرة المتوارية خلف البنيات السردية** المباشرة ، والبنيات التوليدية المقدرة دون إغفال الجوانب الجمالية والفنية مع الاستئناس بمعطيات المناهج النقدية الأخرى بما يتلاءم مع موضوع الدراسة .

المبحث الأول : (العلاقة بين الاغتراب والفلسفة) .

لا ريب أن ثمة علاقة وطيدة بين الاغتراب والفلسفة ، فإذا كان الاغتراب في أبسط مفاهيمه يعني العزلة والانفصال ، فالتفكير الفلسفي هونتاج الاغتراب ومصدره . وأيا كان مفهوم الاغتراب ، فهو حالة مشينة ، يفصل بين الإنسان وإرادته ، ويجعله ممسوح المعالم والشخصية . ومصطلح الاغتراب ، مطاط يقبل التأويل ، ويتسع لكثير من المعاني والدلالات المادية والمعنوية ، ولم يحدث أن اتفق الباحثون على تعريف محدد له حتى اليوم .

لقد عرف الإنسان الاغتراب منذ الخليقة ، وظل ملازما له في كل العصور لكنه بلغ قمته في العصر الحديث والمعاصر ، حيث القتل، والحرب ، والعنف ، والتهجير ، والقهر، والظلم بشتى أشكاله ، لذا لقي (الاغتراب) قبولا واسعا لدى الإنسان العربي المهدد بالموت دائما ، انعكس هذا الواقع على الفن فظهر أدب يعج بالنزعات الفلسفية ، وبخاصة التي تتخذ من الاغتراب مرتكزا لها . لذا رأينا أن نعرف الاغتراب لغة واصطلاحا بما يخدم موضوع دراستنا ويدعمه .فالاغتراب لغة : " يعني الإقصاء والنفي والتشريد والهجر والبعاد " [1]. ولا يختلف عنه اصطلاحا ، فهو يعني: " الابتعاد عن الأهل ، والوطن ، والديار، والأحبة ، بمعنى أن يشعر الغريب بابتعاده عن مكان نشأته وفراقه لذويه الذين ارتبط معهم نفسيا وعاطفيا ووجدانيا ، وتختلف الغربة من بيئة إلى أخرى ، إذ إن الزمان والمكان لا بد أن يترك كل منهما بصماته عليه "[2]. وقد عرف الاغتراب بأنه سمة العصر، ويطلق على الشخص المنطوي على نفسه ليصبح الإنسان " مغتربا عن الناس . وعن نفسه ومشاعره وعواطفه، يعاني الوحدة والعجز عن الاتصال بالآخرين ، وعدم القدرة على التعامل مع غيره " [3]ويصل الاغتراب الاجتماعي ذروته في " الانسلاخ عن الواقع الفاسد ، والاستياء منه، والعداءوالتصدي له، بحيث يبدوهذاالواقع وكأنه كائن ثابت متجمد ، يتخبط في الأوحال التي تلتصق بها الأقدام"[4] فلا يستطيع تجاوزها " فينطوي على نفسه، ويعاني عذاب الوحدة ، والعجزمن تغيير الواقع ، ويقطع صلته بالآخرين الذين لم يستطيعوا أن يستوعبوا تطلعاته التي يحاول بها أن يضيء خطوط المستقبل "[5]

وفق هذا المضمون ، فلا يوجد اغتراب بلا مبرر، وغالبا ما يتشكل من خلال ما يفرضه الآخرون على الذات حيث التهميش

---

[1] انظر ، بن منظور: 2003 ،لسان العرب ، دار الحديث ،القاهرة ، ص 327 وما بعدها .

[2] انظر ، العمصي ،أمين صالح: 1995،الغربة والحنين في الشعر الفلسطيني ، جامعة قاريونس ،بنغازي،ص 47 وما بعدها

[3] النوري ، قيس : 1985 ،الاغتراب اصطلاحا ومفهوما ودافعا ، مجلة الالفكر،ج10، الكويت ، ص 3

[4] ليفن،هاري : 1980، مقالات في الأدب المقارن ، ت، عبد الحكيم محفوظ، وزارة الثقافة والإرشاد، دمشق، ص 18 .

[5] بدري،عبده: 1980 ، الغربة المكانية في الشعر العربي ،مجلة عالم الفكر ، الكويت ، مج 15،ع1 ،ص18

والإقصاء والتحقير والازدراء. لذا فالاغتراب يكون مطلبا لما هو محروم منه الغريب ، وبحثا عما يفتقده من حرية ، وعدالة ، واستقرار ، وهوية . ونظرا لأن كاتبتنا كانت لها تجربة خاصة مع ألم الاغتراب، فقد آثرنا أن نتلمس وجهة نظر بعض الفلاسفة الذين خرجوا من أتون تجربة الاغتراب ، فهو في نظر (ماركس وهيجل) يعني"

" حالة اللاقدرة بمعنى أن الإنسان يعجز عن تحقيق ذاته، وكيّما يتمكن العقل من تحقيق ذاته الفضلى، فلا بد من تجاوزه بالتغلب على نفسه وبالسيطرة على مخلوقاته "[1] وقد أرجأ ماركس الشعور بالاغتراب إلى النظام الرأسمالي ،لأن " العامل لا يعمل من أجل نفسه ، بل من أجل غيره ، وتصبح حياته ملكا لغيره "[2].لقد أرجأ ماركس الشعور بالاغتراب إلى النظام الرأسمالي وفق هذا السياق ، يصبح التمرد على الاستغلال والاستبداد والثورة على الأوضاع القائمة مطلبا ضروريا لتقويم حياة الإنسان . وهو ما يعني : " الانسلاخ عن المجتمع ، والعزلة ، والعجز عن التلاؤم والإخفاق في التكيف مع الأوضاع السائدة في المجتمع ، واللامبالاة وعدم الشعور بالانتماء بل وأيضا انعدام الشعور بمغزى الحياة "[3] أما (فرويد) فيربط الاغتراب " بالتأمل الداخلي ، والاستبطان الذاتي ، مؤكدا حتمية وجود الاغتراب نتيجة اللاشعور " [4]. والحقيقة أن الاغتراب لا يقتصر على الاستبطان الذاتي فحسب بل والخارجي أيضا كما يرى (جان بول سارتر) ، حين رأى أن العامل الأساسي في وجود الاغتراب " حينما يفقد الإنسان كل شيء ، ولم يعد يستطيع أن يرى في أفعال الآخرين إلا اعتداء صارخا عليه، فتفقد الحقيقة مغزاها ، ولم يعد من يقولها أو يعضدها إلا في عالم غير عالمنا الواقعي . أعني عالم الهذيان والجنون " [5].

ولعل هذا ما يفسر لنا رواج أدب الغربة اليوم ، واقتراب الشخصية الاغترابية من الشخصية الإشكالية التي تحدث عنها جورج لوكاتش حيث تتميز الشخصية الاغترابية "بمجموعة من المظاهر الداخلية والخارجية ، وتتمثل في العجزعن مسايرة الواقع ومعاداة الخارج ، فضلا عن الشعور الدائم بالاضطهاد والرفض التام لكل المواصفات المتعارف عليها مع نمو متزايد للقطيعة بين مكونات العالم الداخلي للشخصية وبين تلك المكونات الأخرى التي يتم فرضها من خلال شروط الخارج وبما يمليه من مواصفات[6] "

وانسجاما مع هذا المفهوم ، فالاغتراب يصب في القلق، والبعاد، والعبث ، والحيرة، والفقد، والانفصال ، ، إذ لا فلسفة بدون اغتراب ، ولا اغتراب بدون فلسفة فإذا كان الاغتراب وليد العزلة والانفصال ، فالفلسفة وليدة الاغتراب وهو ما يفسر اختيارنا لعنوان الدراسة . وضرورة ارتباط الاغتراب بالتفكير الفلسفي الذي قامت عليه الرواية . وللتدليل على ذلك يمكننا استجلاء العلاقة بينهما وذلك من خلال الوقوف أمام المعنى اللغوي والاصطلاحي لكلمة الفلسفة أسوة بمفهوم الاغتراب الذي ذكرناه آنفا .

فالفلسفة لغة تتمثل في الترجمة اليونانية " في كلمة (الفيلوصوفيا) philosophia ، فيلو : بمعنى حب ، وصوفيا بمعنى: الحكمة فتكون الفلسفة :حب الحكمة "[7]. وهذا يعني أن التفكير الفلسفي يقتصر على الحكماء أي النخبة الخاصة دون العامة ، لأن الفلسفة في جوهرها ترتكز على مجموعة من التساؤلات الفكرية العميقة التي تخص : الحياة ،والموت والوجود، والهوية والحقيقة ، والجمال . لذا رأى كثير من الباحثين أن الفلسفة ليست " مجرد حكمة نظرية محضة ، وإنما هي أيضا حكمة فاعلة في مجال الواقع ودنيا

---

[1] محمد، حسين علي :1991 ، البطل في المسرح الشعري العربي ، الهيأة العامة ،القاهرة ، ص 157

[2] ص. ن.

[3] النوري ، قيس : المرجع السابق ، ص 68 .

[4] كشيك ، محمد : 1992،ملامح البطل المغترب ، مجلة فصول المصرية ،مج1 ، ع3، القاهرة ، ص 298

[5] الصباغ، رمضان : فلسفة الفن عند سارتر ، 2004، ط2 ، دار الوفاء، الإسكندرية ، ص 279

[6] كشيك ، محمد : المرجع السابق ، ص 298

[7] الحفني ، عبد المنعم : 1992، الموسوعة الفلسفية ، دار المعارف،تونس ، ص 316

الحياة ما دامت هذه الحكمة النظرية تعود لتثري هذا الواقع ، وتبصرنا به في ضوء جديد . ولهذا رأى (ديكارت)أن أجمل نعمة ينعم الله بها على بلد من البلاد، أن يمنحه فلاسفة حقيقيين "[1] وهذا يعني أن الحكمة لن تكون فاعلة ومؤثرة إلا من خلال قدرتها على الدهشة والغرابة مما يدفع المتلقي على التأمل والتخيل والفكروالسؤال العميق . حيث " إن الميزة الوحيدة اللازمة لكي يصبح الإنسان فيلسوفا جيدا هي قدرته على الدهشة "[2]. يقول (سقراط) في هذا الشأن " إن الدهشة هي التي دفعت الناس إلى التفلسف . فالفلسفة وليدة الدهشة ، والدهشة وليدة الغربة ، والغربة وليدة الإحساس بالمسافة بيني وبين الأشياء "[3].

من هنا ارتبطت الفلسفة بخلخلة الفكر والقيم والمبادئ السائدة ، وجنحت إلى الغموض والذاتية .

وفق هذا السياق ، لم تلق الفلسفة قبولا لدى القارئ العادي ، واقتصرت على النخبة الخاصة من الفلاسفة وبخاصة الوجوديين منهم . فها هو (كيركجارد) يعلن كراهيته الشديدة للعامة ، ويرى السبيل الوحيد للوصول إلى الحقيقة هي العزلة ، ولا يقل عنه ضراوة (نيتشه) الذي يمجد الأقلية ويحتقر الأغلبية التي ينبغي أن تظل مستعبدة –على حد قوله .أما(سارتر) ،فيصف الآخرين بالجحيم) [4] وعلى هذا الأساس فالتفكير الفلسفي هو نتاج العزلة ، والانفصال عن الآخرين وبخاصة الاتجاه الوجودي . وهذا هو لب الاغتراب . من هنا لقيت الماركسية ترحيبا واسعا لدى القارئ العربي تعنى بالطبقات الشعبية العريضة ، الفقيرة والمضطهدة ، ولا ترى الحقيقة في العزلة والانفصال عن الآخرين بل بالاندماج معهم .

من هنا تجاوزت الفلسفة حدودها الأكاديمية الضيقة ، ولم تقتصر على الخاصة بل امتدت إلى العامة أيضا وأخذت في الوقت الحاضر " تعنى بالبحث عن معنى الحياة ، وتفسير الكون بوسائل قاصرة هي الكلمات والمعاني المختلفة التي ترمز لها ، الأمر الذي جعل الكثير من النشاط الفلسفي في وقتنا هذا ينصب على ا لتعريف وتحديد المعاني " [5] وهذه رؤية يجانبها الصواب ، إذ ليس من المعقول أن يقتصر طموح الفلاسفة على ترتيب الكلمات وتنميقها

لأن التفكير الفلسفي " يستهدف حل المعضلات الكبرى التي تواجه يقظة الوعي البشري منذ القدم ، مثل معضلة الوجود وما وراء العالم المحسوس ، ومعضلة المعرفة وإمكاناتها وحدودها ، ومعضلة الغايات البشرية والمصير والواجب الأخلاقي "[6]

في ضوء ما سبق ، يمكننا القول :" إن قيمة الفلسفة ليست فيما تقدمه من حلول نهائية للمسائل التي تطرحها ، إذ ليس من الضروري أن يكون دائما إجابات صحيحة ، وإنما قيمة الفلسفة في مناقشاتها المفتوحة ، والفرصة التي تتيحها لتوسيع أفق تصورنا لإثراء خيالنا العلمي "[7]

وعلى ذلك ،لم تعد الحقيقة حكرا على الفلاسفة ، ولم يعد الفيلسوف في برج عاجي " إنما كل من يخترع ويبدع في مجال من المجالات له صلة بالحقيقة ،حيث يرى الفيلسوف (ستولينتز) أن البحث الفلسفي والجمالي في مشكلات الفن له قيمته لا من حيث هو تحليل فكري فحسب ،بل لأنه يزيد من استمتاعنا بالموضوعات الفنية ويوسع فهمنا لها ، ويفتح أمام الناقد والمتذوق آفاقا جديدة

---

[1] توفيق، سعيد: 2015، أزمة الإبداع في ثقافتنا المعاصرة الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ،ص45

[2] مؤتمر جامعة فيلادلفيا : 2018،النقد الحضاريفي الوطن العربي ، دارفضاءات، عمان ، ص 186

[3] حماد،حسن حماد : 1992،الاغتراب عند أبي حيان ، مجلة فصول المصرية مج14 ،ع 3،ص 67.

[4] انظر ، الصباغ ، رمضان : مرجع سابق ،ص 279

[5] المهندس،كامل ،وهبة،مجدي : 1984 ، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان،بيروت ، ص 278

[6] جعفر ،عبدالوهاب : 2004. ، الفلسفة واللغة ، ط2 ، دار الوفاء ، الإسكندرية ، ص 100

[7] الحفني، عبد المنعم : الموسوعة الفلسفية ، مرجع سابق ، ص 319

يطل منها على الفن "[1]وتجربة الكاتبة الليبية الإبداعية (نجوى بن شتوان) لا تخرج عن هذا الإطار ، حيث استطاعت أن تنقل تجربتها الذاتية الخاصة من عالمها الضيق المحدود

إلى رحاب العالم الإنساني لتشمل كل المقهورين والمنسيين والمهمشين حيث جعلت الوجود البشري محورا أساسيا لتأملاتها وتساؤلاتها الفكرية العميقة خاصة أنها عايشت الاغتراب بشتى أشكاله في جميع مراحلها العمرية و أصبحت تجربتها الإبداعية مثالا لأدب الاغتراب .

فكيف عبرت نجوى بن شتوان عن ظاهرة الاغتراب ؟وما مفهومها للاغتراب ؟، وما التقنيات الفنية التي استخدمتها ؟، وما أهم الاتجاهات الفلسفية التي تأثرت بها ؟، وهل استطاعت معالجة القضايا التي أثارتها الرواية ؟، ولماذا استدعت تاريخا مغرقا في القدم الآن ؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟

للإجابة على هذه التساؤلات نرى من المفيد أن نقدم نبذة مختصرة عن الرواية أولا :

ملخص الرواية :

نسجت الكاتبة (نجوى بن شتوان)خيوط الخطاب الروائي المعني بالدراسة من سيرتها الذاتية والفكرية ، حيث أخذت الرواية تعج بالاتجاهات الفلسفية التي نشتم منها رائحة االوجودية تارة والرؤية الماركسية تارة أخرى ، ولعل نشأتها غير العادية كان لها الأثر الأكبر في تشكيلها حيث كانت تؤثر الصمت عن الكلام ، والعزلة عن الاندماج ، والانفصال عن الاتصال خاصة ببني جلدتها وذويها ، و يغمرها إحساس باليأس والضياع والتمزق دائما ،لكنها في الوقت نفسه كانت طموحة ومتمردة على الأعراف والقيم السائدة ، لهذا أفردت مساحة واسعة من الفضاء السردي لفئة العبيد من ذوي البشرة السوداء الذين كان يتم استجلابهم من الجنوب الليبي وشمال أفريقيا للعمل كخدم في بيوت الأسياد من ذوي البشرة البيضاء ، تتصدرهم المرأة وبخاصة صغيرات السن من النساء لإشباع رغبات أسيادهن وما يتعرضن له من شتى أنواع التعذيب والتعنيف .

تتضمن رواية (زرايب العبيد) أكثر من عشرين فصلا يقتع في ثلاثمائة وخمسين صفحة ، حمل كل فصل عنوانا خاصا به ، يختلف طولا وقصرا عن بعضها بعضا ، بنيت أغلبها على الجمل الاسمية المتناقضة لتنصهر جميعها في بوتقة العبودية كما يشير العنوان . وابتعدت عن البناء الأرسطي التقليدي الذي يعتمد على بداية ووسط ونهاية ، واقتربت كثيرا من البناء الملحمي غير المنتظم الذي ينسجم مع العالم الفوضوي غير المستقر، حيث استخدمت الكاتبة تقنية سرد اليوميات على غرار رواية الغثيان لسارتر، وهو ما أعطى الرواية سمتها النقدية .

نشرت الرواية عن دار الساقية ببيروت عام 2016 . لتتحدث عن تاريخ منسي ومهمش وأكثر انحطاطا في تاريخ ليبيا القديم والحديث ، وبخاصة في مدينة بنغازي مسقط رأس الكاتبة ، منذ أواخر العهد العثماني حتى بداية الاحتلال الإيطالي في الربع الأول من القرن العشرين ، وما تعرض له العبيد في تلك الفترة .اعتمادا على ذاكرة الجدات ، والمشاهدة العينية بعيدا عن الوثيقة التاريخية الرسمية ، وهي رؤية تقوم على فلسفة التاريخ وليس التاريخ في حد ذاته ، أي تأطير رؤية الكاتبة الذاتية تجاه تلك الحقبة . وذلك لتميط اللثام عما لم يذكره التاريخ.

اتخذت الكاتبة من العلاقة المحرمة اجتماعيا بين السيد محمد بن شتوان الصغير ذو البشرة البيضاء ، وبين الخادمة العبدة تعويضة ذات البشرة السوداء إطارا خارجيا للكشف عن المسكوت عنه ، كانت هذه العلاقة زلزالا حل بعائلة بن شتوان ، لذا أرسل الأب ابنه في تجارة إلى مالطا لإبعاده عن حبيبته التي اختارها لتكون خليلته كعادة الأسياد ، ثم أسقتها أمه سائلا لإجهاضها ، ومن تم تزويجها لعبد آخر يدعى سالم ، و أجبر على طلاقها وبيعها للفقيه ووضعها في دارتدعى بنات الله للمومسات برعاية أقوى

[1] مؤتمر جامعة فيلادلفيا :: المرجع السابق ،ص 187

الخادمات وأشرسهن ، وحين عاد السيد محمد من رحلته أخبروه أن أهله قتلوا ابنه ، وباعوا حبيبته إلى جهة غير معلومة ، فبحث عنها في كل مكان دون جدوى حتى استطاع (علي) ابن أخته فاطمة أن يدله على مكانها ، غير أن هذه العلاقة لم تدم طويلا ، لقد مات العاشق محمد بن شتوان ، وأمر الاحتلال الإيطالي بحرق زرايب العبيد بمن فيها فماتت تعويضة حرقا . وبحرق زرايب العبيد ينكشف المستوروالمسكوت عنه .

وهكذا ، فالخطاب الروائي " عمل فني لا ينقل التاريخ بحرفيته ، إنما ينقل تصور الأديب له الذي ينظر في التاريخ نظرة عميقة فاحصة متأملة في التراث التاريخي مع تركيز الضوء على حدث معين ، وتشكيله تشكيلا فنيا مستمدا من مادته الأدبية التي صورها في بنائه القصصي "[1]وهنا يطرح النقد سؤاله : لماذا أسقطت الكاتبة تاريخ العبودية على المرأة بالذات ،ولماذا أفردت مساحة واسعة لنموذج نسوي دون غيره ،وماذا تريد أن تقول ؟ ولعل الكاتبة هنا لا تهدف إلى إعادة صياغة الماضي فحسب بل إلى عقد قرائن تشبيهية بين عبودية المرأة بالأمس ،وعبودية المرأة اليوم . ليصبح "التاريخ رجعية مستمرة ،أو إعادة صنع المعنى طبقا للحاجات الحاضرة ." [2]وهو ما سنناقشه من خلال تناولنا للمباحث التالية :

المبحث الثاني – صور الاغتراب والتقنيات السردية في الخطاب الروائي .

توطئة :

شغل الاغتراب مساحة واسعة من عالم الكاتبة الذهني والفني ، وتبرعم على جسد النص بأشكال متنوعة حتى أصبحت تجربة الكاتبة الإبداعية معلما بارزا من معالم أدب الاغتراب النسوي . ولما كانت الرواية فن الشخصية رجل كان أو امرأة ، فقد انتقت الكاتبة شخصياتها من عالم يفتقر إلى أدنى حد من الإنسانية وبخاصة النماذج النسوية ، حيث جردتها من هويتها وجذورها ، وأصولها وألقت بها في عالم ذكوري لا يعترف بوجودها ، واتخذت من الجنس ، وتسليع جسد الخادمات مادة رخيصة للبيع والشراء ، والبغي، والدعارة ، وعشاق الطرب واللهو ، والغناء لإشباع غريزة الأسياد ، وفي مثل هذه الأجواء لا بد وأن يتراجع الاتجاه التاريخي لصالح (الاتجاه الوجودي) [3]، حيث الغربة ، والعبث، والتمزق ، والضياع ، ولعل أهم ما يميز هذا العالم أنه عالم فوضوي " غير مستقر ، غير منتظم ، وغيرمنطقي ، فكل العلاقات العاطفية والجنسية في الرواية ، سواء كانت علاقاتالحب الفاشلة ، أو علاقات الخيانة والبغاء ، أو العلاقات الشاذة الأخرى . كلها تشكل صورة لعالم مأزوم مشوه فوضوي ، مبتذل ، تافه ، متناقض ،موبوء، وهذا هو عالم الرواية بشكل عام " [4]

لذا نهضت الرواية على فكرة مسبقة ، وأخذت الكاتبة تروج لها من البداية حتى النهاية بما يعزز البطولة الفردية ، حيث حظيت العبدة تعويضة باهتمام ملحوظ من قبل الكاتبة ،وأفردت لها مساحة واسعة من الفضاء السردي لتقود الحدث الرئيس وتدفعه إلى الأمام دون منازع ، وما ظهور الشخصيات الأخرى إلا ظهورا عابرا ، تنطق بأفكارها ، وتدور في فلكها ، وهذا يجعلنا نميل إلى الرأي القائل : " إن الرواية تستمد عقدتها من فكرة –الكاتبة – التي تستند إلى موقف فردي متأثر بالفلسفة الوجودية ، وهذه الفكرة هي التي حددت نهاية الرواية قبل أن نصل إليها ، لأن ثمة أفكارا سابقة جعلت من هذه النهاية حتمية بالضرورة ،ومن هنا كانت الشخصيات

---

[1] نبيل، راغب : 1988 ، الشكل الفني عند نجيب محفوظ ،الهيأة المصرية العامة ،القاهرة ،ص 115 .

[2] مجاهد ،أحمد : 1998، أشكال التناص الشعري، الهيأة المصريةالعامة، القاهر

[3] انظر، العشماوي، محمد زكي :1986، دراسات في النقد الأدبي المعاصر دار النهضة، بيروت ، ص61.

[4] الزعبي ، أحمد : 1986، في الإيقاع الروائي ، دار الأمل ، عمان ، ص 105

المختلفة خدما للشخصية المركزية تلقي الضوء عليها وتبرزها غير أن الشخصية المركزية محكومة بصيغة جبرية إلى الفكرة العامة[1]"

إن ارتكاز الرواية على رؤية مسبقة أحادية الجانب تتناقض مع متطلبات الحياة المعاصرة من ناحية ، وما تدعو إليه الكاتبة من الثورة على العبودية وعدم الإذعان لسلطة الرأي الواحد من ناحية أخرى . يتضح ذلك جليا ، حينما بني الحدث الرئيس على علاقة عاطفية وفردية بين الجارية تعويضة بوصفها الشخصية المحورية ، وبين السيد محمد بن شتوان ، وهي علاقة محرمة وغير معترف بها بحسب الأعراف السائدة ، وقد أخذت على عاتقها مسؤولية هذا الاختيار وهي تعلم علم اليقين بأنه سيقودها إلى الموت. عند هذا الحد" تفقد الكلمات معانيها ، وتكف أن تعني شيئا ، فتصبح لا مبالية بالمعنى ، وتتحول إلى أشياء إلى وحدات صوتية خالية من المعنى بوصفها انتزعت ، إنها تتجنس أو تتشيأ "[2]

وعلى هذا النحو ، تصبح العلاقة بين الشخصيات غير سوية ، ويجد الاغتراب تربة خصبة لنموه وتبرعمه بمختلف أشكاله وأنواعه وهو ما سنتحدث عنه لاحقا .

أولا – الاغتراب الذاتي :

من أكثر المصطلحات تداولا وانتشارا في الدراسات النقدية الحديثة ، ومن أشد أنواع الغربة وطأة وتأثيرا على الذات ، ويعني انفصال الذات عن ذاتها وطموحها وإرادتها ، لتقع فريسة جلد الذات ، والعزلة ، وكأنها في حالة غياب وسكر، فلم تعد الذات على وعي بذاتها ، حتى تشعر بأن" هذه الذات هي مصدر عذاب الغريب وبلواه، وهي قدره ومصيره الذي لامفر منه، إنه لا يستطيع السيطرة على هذه الذات، لأنه في حالة خصام دائم معها ، ولهذا فإننا نميل إلى القول بأن علاقة الغريب بذاته علاقة اغتراب ، وهي حالة خاصة تعني إحساس الإنسان بأنه لا ينتمي إلى هذه الذات تماما ، مثلما يشعر الإنسان أنه لا ينتمي إلى هذا الوطن[3] " ونظرا " لهذا الانسحاق الذاتي الذي يعانيه – الغريب – فإن هويته تتحلل، فيفقد ارتباطه بالمجتمع ، ويمعن في استعذاب هذه العزلة ، مؤكدا رغبته في تعذيب الذات والزيادة في تغريبها بشكل مازوخي " [4]

تتجلى ملامح هذا الاغتراب بوضوح في إنكار العبدة (تعويضة)) لاسمها الحقيقي ، وتخفيها وراء اسم (عمتي صبرية) خوفا على ابنتها (عتيقة) من بطش الآخرين ، حيث جرت العادة ، قتل الأسياد لجميع الأطفال الذين يولدون في الزرايب ورميهم في القمامة للقطط والكلاب تأكلهم . وللتدليل على ذلك نقتطف المقطع التالي : " عملت عند الآخرين ، وتخفت في اسم وشخص جديدين في الزرايب ، وخبأت أمومتها لابنتها خوفا عليها من شر الجنة والناس " [5]

.انفتح الحكي على راو عليم بضمير الغائب (ذو التبئير الصفر) ، مجهول الهوية والاسم ، ولا نعرف عنه شيئا ، ولا عن مصدر معلوماته ، وظيفته الإخبار عما يشاهده ويعاينه ، وما تتناقله الألسن وتراه الأعين ، فاختار حدثا قاسيا يثير الخوف والرعب تصل عقوبته إلى حد الموت دون أن يكون له دور فاعل . فليس أصعب على المرأة من أن تتنكر لهويتها ، وطبيعتها التي خصها الله بها دون البشر وهي الأمومة ،. لتعيش ابنتها محرومة الرعاية والحنان ومنزوعة الجذور . بلا أم ولا أب ولا نسب . لذا جاءالمشهد مكتظا بالأفعال الماضية – عملت ، تخفت ، خبأت – التي تفيد الاستمرارية لتقع الذات فريسة الماضي والحاضر معا . " فتتذكر

---

(1) السعافين ،إبراهيم : 1987، تطور الرواية العربية الحديثة ، ط2 ، دار المناهل، بيروت ، ص 453.

(2) فضل، صلاح : 1995، بلاغة الخطاب وعلم النص ، الشركة المصرية ، القاهرة ، ص 234.

(3) حماد ، محمد حسن: الاغتراب عند أبي حيان ، مرجع سابق ، ص 67،ثم انظر، زعرب ،صبحية عودة :2005،

(4) جماليات السرد في روايات غسان كنفاني، درا مجدلاوي، عمان ،ص، 108، 109

(5) بن شتوان ،نجوى: 2016، زرايب العبيد ، دار الساقي، بيروت، 337

الشخصية لحظة إنسانية موغلة في الماضي وذات تأثير سلبي على المشاعر ، لكنها تؤثر إيجابيا في تطور الفعل نحو الأمام ، حيث تستقرئ مشاعرها وأحاسيسها ومن ثم تربط هذا التذكر بالعوالم الداخلية للشخصية الرئيسة ،غير أن ضمير الصيغ بضمير الغائب ....ربما لأن فرص الحديث عن النفس معدومة

في مثل هذه المواقف المأزومة ، لذا تكفل الراوي باستقراء الأفكار الداخلية لهذه الشخصية وعرضها للمتلقي برؤيته هو "[1]

يبدو ذلك حين تخاطب العبدة (عيدة) خادمة بيت ابن شتوان الكبير عتيقة بنت تعويضة بنبرة انفعالية مشحونة بالتوتر والقلق لتكشف عن المسكوت عنه فجأة : " تعويضة أمك – أمك ، وليست عمتك صبرية ، أمك وليست عمتك " [2] توظف الكاتبة هنا بنية التكرار لكلمة أمك في كل عبارة وتجعل منها محورا رئيسا للتركيز على العنصر الأهم ، وهوتكرار يعكس الإصرار والإلحاح على المطلوب لعبارات منفية دلاليا لإثبات حكاية أخرى على النقيض من ذلك . لهذا جاءت كلمة أمك متبوعة بكاف الخطاب لذات بعينها مما يصعد من وتيرة الصراع الدرامي . ولكن مالذي جعل الخادمة عيدة تبوح بالمستور ؟ ولماذا لم تخبرها بهذه الحقيقة حينما كانت أمها على قيد الحياة ؟ في اعتقادنا أن عيدة نفسها مشاركة في الخطيئة أكثر من الأم تعويضة .

وما يهمنا في هذا المقام ، ليس تغيير الاسم أوتبديله بآخر ، إنما دلالة هذا التغيير الذي يشي بافتقاد عتيقة لهويتها الحقيقية ، فهي مولودة لخادمة زنجية مشكوك فيها ، وأب ليبي باهت الحضور لم نسمع له صوتا ، ولم نعثر عن مسؤوليته أو اعترافه بهذا النسب المشبوه ، لذا كانت الحقيقة منقوصة من طرف العبدة (عيدة) التي لم تجرؤ على نسب الأبوة ، أو تسويغ تصرفها ، لأنها تعلم أن ذلك يكلفها حياتها في عرف الأسياد ، عدا أنه إعلان يشي بنصف الحقيقة انسجاما مع صورة الغلاف .مما جعل الذات تعاني اغترابا مركبا ذاتيا واجتماعيا ، فالأب مجهول ، والأم غير معترف بها وهما العنصر الأساسي في تشكيل أية هوية ، الأمر الذي يؤدي إلى استلاب الذات وضياعها . إن تغيير الاسم وتبديله نجد صداه في رواية (عائد إلى حيفا)لغسان كنفاني ، حين استبدل اسم خلدون العربي باسم دوف اليهودي . وقد سارت على هذا المنوال أيضا ، الكاتبة المصرية رضوى عاشور في رواية (ثلاثية غرناطة) حيث تحول اسم سليمة المسلمة إلى جلوريا ألفاريزالنصرانية ، وابنتها عائشة إلى إسبيرانزا ليتحول كل شيء إلى نقيضه .

ويبدو أن الكاتبة هنا تناقش قضية فلسفية ، وهي قضية الالتزام الأخلاقي تجاه الآخرين ،يحيلنا هذا المضمون إلى رؤية الفيلسوف الألماني نيتشه حينما قارن بين أخلاق الأسياد ، وبين أخلاق العبيد في قوله : " لا تتحدد انطلاقا من مجرد تناقض آني سيزول ، وإنما هو اختلاف يصر على عدم تجاوزه ، فالسيد المختلف عن العبد الطبقي أو الاجتماعي ليس هو السيد بالمعنى التفاضلي لأنه يؤكد ذاته بنفيه للعبد "[3] أليس هذا ما نراه اليوم في عالمنا العربي ؟ إ حيث تواجه الأمة العربية خطر الإبادة ، والوباء، والفقر، والجهل ، والتهجير . حيث حول سادة العالم الجدد الإنسان إلى عبد يباع ويشترى كالدابة ليظل أسير الوحدة والعجز ويبقى الاغتراب ملازما له .وهكذا فحدود الرواية الزمنية لا تقتصر على تجارة الرقيق في أواخر

العهد العثماني كما يشير العنوان ، وإنما يمتد إلى الحاضر وربما المستقبل .

يقول (إمبرتوإيكو) في هذا الصدد: " إن العمل على تطوير الفكر ، لا يعني رفض الماضي بالضرورة ، إننا نعيد فحصه ليس فقط بهدف معرفة ما قيل فعلا ، ولكن بهدف معرفة ما كان يمكن أن يقال ، أو على الأقل ما يمكننا قوله الآن بناء على ما قيل سلفا"[4]

أمام هذا الواقع العبثي ، لم تجد عتيقة من ينصت لها فتتكفئ على ذاتها لتبوح بما لا تبوح به أمام الآخرين ، وتعبر عن أفكارها

---

[1] المؤتمر الأول للقصة القصيرة : 2007، نادي القصة، القاهرة ، ص 69

[2] بن شتوان ، نجوى الرواية : ص 167

[3] ولد عبد المالك، البكاي: 2011 ، نيتشه ، الفكر الجماهيري ، بنغازي، ص 45

[4] انظر، حماد ، حسن محمد ، مرجع سابق ، ص 69

، ومكابداتها النفسية والشعورية المدفونة دون وساطة . ولنقرأمعا ما يدل على ذلك :" صرت فعلا يتيمة ، فقدت جذري في الحياة ، وأنا أفقدها ، إنها كانت أمي طيلة العمر وليست عمتي ، وأنها خبأت نفسها لتخبئني هروبا من الأذى ، وخوفا علي من شر الخلق [1]"

أول ما نلاحظه على هذا الاستدعاء هو غلبة ضمير الأنا المتصل والمنفصل بوصف الذات صاحبة التجربة ، وغياب الضمير هو الدال على الرجل بوصفه المسؤول عن هذه المعاناة (صرت– فقدت – أنا) وهي تقنية تقوم على التداعي الحر وتنتمي إلى حقل الفقد ، حيث تتخيل الذات أنها تتحدث مع ذوات أخرى فتجذر عمق الشعور بالغربة الذاتية من خلال الألفاظ التي تتصل بياء المتكلم – جذري ، عمتي – أمي – تخبئني – حتى نكتشف بأنها تتحدث مع ذاتها بعدما أدركت عدم جدوى الاتصال بالآخرين ، وهذا هو الاغتراب الذاتي وهو أقسى أنواع الاغتراب . [2]

وهكذا " يتكلف راوي قصة الخطاب بالحكي بضمير المتكلم ، وهو يحيى قصته الذاتية ، إنه ذات السرد ، وموضوع يحكي لنا قصة هو بطلها ومحورها ، ولما كان كذلك ، فهو الفاعل الذاتي كصوت سردي ، يقوم بترهين خطاب قصته من خلال ضمير المتكلم "..

في ضوء هذا المنظور ، فالشخصية هنا لا تعاني اغتربا ذاتيا فحسب بل مكانيا يرتبط بالقتل ، والاغتصاب ، والخطف ، واليتم . وهو " اغتراب يتعلق بعدم إقرار الشخص بمشاعره ورغباته وأفكاره إلى الحد الذي تصبح فيه مكبوتة وغير مميزة " [3] ويواصل السرد تأطير ملامح الاغتراب الذي تشعر به عتيقة ، فعلى الرغم من شدة وطأة الفقد والألم الذي تشعر به ، وعدم إفراد مساحة واسعة لها من الفضاء السردي ، نجدها على وعي كامل بسرد تفاصيل سيرة أمها (تعويضة) وما تعرضت له من عذابات على يد تجار العبيد، وعشاق الجسد ، وتجار الدين الذين يمثلهم الفقيه ، دون أن نعلم مصدر معلوماتها خاصة أنها لم تعاصر حياة أمها (تعويضة) . ولعل الكاتبة هنا تلقي مسؤولية تأطير التاريخ على الأجيال القادمة من ناحية ، والتمرد على أشكل العبودية من ناحية أخرى .

يسعفنا (ميشال بوتور) في تفسير هذا الأمر قائلا " يبدو أن ما يقص علينا الروائي لا يمكن التثبت من صحته ، وما يقوله لنا يجب أن يكفي لإعطاء كلامه مظهر الحقيقة ، فإن على الرواية أن تكتفي بإظهار ما تحاورنا به، لهذا كانت أسمى حقل للحوادث الحسية ، وأسمى بيئة تظهر لنا الحقيقة فيها .....لهذا كانت الرواية مختبر القصة "[4] ويمضي السرد في تأطير ملامح الاغتراب الذاتي ، ولا يقتصر الفقد على موت الزوج ، والأم ، وفقد الأحبة والأهل والوطن ، بل يصل الاغتراب الذاتي ذروته حينما تشعر العبدة (تعويضة بأنها في مكان غير معترف بها ، وأن وجودها مرهون برؤية الآخرين وموقفهم منها بما فيهم الأصدقاء من العبيد السود الذين يعيشون معها داخل الزريبة ولم يستجيبوا لندائها . يتضح ذلك جليا ، عندما أكلت قطط الليل لحم الوليمة ، فأراد السيد محمد بن شتوان الكبير الانتقام من الخادمة تعويضة دون الخدم الآخرين ، وترك وليدها الرضيع يموت جوعا، ظنا منه بأنه ابن العبد سالم وليس ابن ولده محمد الصغير . كانت تعويضة " تبكي بحرقة ، وتتوجع وتنادي دون مجيب ، صغيرها يصرخ يريد الرضاعة ، وهي معلقة من يديها تسمعه وتراه دون قدرة على افتكاكه من الجوع والظمأ ، عيدة يا أختي أنقذيني ، سالم أيها الرجيم ، أين أنت ، ولدي يموت أمامي "[5] إن ارتكاز الكاتبة على الشخصية المركزية واعتمادها على موقف فردي لعلاج قضايا عامة يتناقض مع الهدف الرئيسي للرواية ، فبالرغم من المساحة الواسعة التي تحظى بها الجارية (تعويضة) فلم تقدمها الكاتبة من خلال وعيها إنما

---

[1] بن شتوان، نجوى : الرواية ص 168.

[2] يقطين، سعيد : 1997 ، تحليل الخطاب الروائي ، ط3 ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، ص 379

[3] البدراني ،حميد عبد الوهاب : 2014 ، الشخصية الإشكالية ، دار مجدلاوي، عمان ، ص 22.

[4] بوتور ، ميشال : مرجع سابق ، ص 6.

[5] بن شتوان ، نجوى : الرواية ص 256

من خلال راوعليم يمثل الكاتبة نفسها" إن هذه الرؤية تقوم بمهمة بناء مادة الرواية بطريقة وصفية ، إنها تهدف إلى تقرير حالة قائمة فارضة حضورها على تلك المادة دون أن تتيح للرؤى الأخرى بالظهور إلا في نطاق ضيق "[1]

والحقيقة أن هذا المشهد يستأهل وقفة جادة بوصفه يعبر عن ذات قلقة ، ومعذبة تشعر بالانسحاق الحاد ، والتمزق التام , حيث يكشف الخطاب الروائي عما امتنع التاريخ عن قوله ، وتستوقفنا شبكة الأفعال المضارعة – تبكي ، تتوجع ،تنادي ، يصرخ، يريد ، تراه – الدالة على استمراية النبذ والإقصاء في الحاضر لنتساءل : أي قانون يسمح بقتل الأطفال أمام أمهاتهم ومرأى الآخرين ؟ وأي عالم يقتل الأطفال ليقتات عليه الكلاب والقطط؟ وأية عدالة تقتل المرأة حرقا ؟ وأي بشر يستمتعون بصراخ المرأة وعذابها ؟ لهذا أكثرت الكاتبة من الأساليب الإنشائية وبخاصة بنية النداء (يا) التي تنم عن طلب المساعدة والاستغاثة بأداة تدل على شدة قرابة المنادى – عيدة يا أختي أنقديني – من ناحية ، والبنية التساؤلية التي تفتقد إلى الدفء والحميمية من ناحية أخرى : -- سالم أيها الرجيم ، أين أنت ؟ ---وهي رؤية تدل دلالة واضحة على انحياز الكاتبة لهذه الشخصية بالذات ، علما بأن تعويضة كانت زوجة لسالم في غياب الحبيب محمد بن شتوان الذي اتخذها خليلة وعشيقة له . ما يلفت الانتباه تحامل الكاتبة بصورة ملحوظة على الرجل ووصفه بالشيطان (سالم أيها الرجيم) ، وهي رؤية تفتقر إلى المنطق والإقناع ، لأنه يقع تحت حتمية ذلك القرار ويسير وفق رؤية مسبقة وتوصيفها " توصيفا فنيا للتعبير عن المعنى الذي يريد الإفضاء به إلى المتلقي ، لإثارة انتباهة أو تحفيزه لقبول الفكرة "[2] ولا يخفى على القارئ استخدام الكاتبة لتقنية لعبة الضمائر المعروفة

بالالتفات الدال على القلق والحيرة والتخبط . حيث بدأ المشهد بصيغة الماضي ، ثم انتقل صيغة الحاضر ، ثم انتقل من ضمير الغائب (هي ،وهو) إلى ضمير(الأنا) ، ومنه إلى ضمير المخاطب (أنت) حتى لم نعد نميز بين الضمائر القاهرة ، والمقهورة . وهذا التحول الضمائري ينهض على البنية الثنائية بين الأنا ، والأنت ، ومخاطبتها للآخر دون استجابة . لأن وظيفة هذه التقنية لا تتكشف إلا من خلال السياق بحيث تحقق كل صيغة وظيفة السياق الذي وردت فيه ، وكأننا أمام رواية الأخوة كارامازوف للروائي الروسي دستويفسكي حيث " ترد صيغة ما من صيغ الالتفات في سياق بعينه ، ثم ترد هذه الصيغة نفسها في سياق آخر لتشير إلى معنى أخر مقصود هو نقيض للمعنى الأول ، وهذا يعني خصوصية الدلالة في كل حالة " [3] إن أهم وظيفة قام بها أسلوب الالتفات هو، غربة الذات عن الآخرين من ناحية ،وغربة الآخرين عن الذات من ناحية أخرى بمن فيهم الأحبة والأصدقاء من بني جلدتها العبيد.. والأهم موت القيم الإنسانية . .

وفي نقلة نوعية أخرى ، تبرع الكاتبة في تفجير بؤر ملبدة بأجواء العتمة والحزن والانكسار ، وتتسلح بمقدرتها اللغوية والفنية في انتقاء المحمولات اللفظية والواسمات الإشارية التي ترتبط بموضوع الاغتراب بوصفه " يشكل ظاهرة مصاحبة للوجود والواقع النفسي للإنسان ، وكان من الطبيعي أن تنشأ هذه الظاهرة وتتجذر مع تشعب الحضارة العربية واتساعها لعدة حضارات ، بحيث تميزت ظاهرة الاغتراب في نهاية المطاف بسمات فنية خاصة بها ، وهذا ما حاولنا استخلاصه والتركيز عليه ."[4] تجلت هذه التقنية في استدعاء أحداث ماضية تعرف بزمن القصة في اللحظة الحاضرة التي تعرف بزمن السرد وذلك من خلال التداعي ، حيث يرصد لنا السارد يوميات الشخصية يوما بعد يوم حتى نشعربأننا أمام سيرة شخصية وأن السارد يعرف كل شيء عن ماضيها

---

[1] إبراهيم ، عبدالله : 1995، المتخيل السردي ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ص 129

[2] عثمان ، عبد الفتاح : د.ت ، الأسلوب القصصي عند يحيى حقي ، مكتبة الشباب ، القاهرة ، ص 205

[3] إسماعيل ، عز الدين : 1990، جماليات الالتفات ، النادي الثقافي ، جدة ، ص 883 .

[4] الصايغ، وجدان عبد الإله : إله : 004 ، الأنثى ومرايا النص ، نينوى، دمشق ، ص 288. ، انظر ، زعرب، صبحية عودة: 2017، تحليل النص الأدبي في ضوء النظريات النقدية الحديثة ، دارمجدلاوي، عمان ، ص 112، 244، 266.

وحاضرها .مستعينا بالفعل(كان + والجمل الاسمية) ، (والفعل المضارع + ضمير الغائب). يعزز هذا المنظور المقطع التالي :" كانت العزلة هنا جهنمية ، والظلام عارما، والشتاء وحشيا ، ليس ثمة ما يتقيه. كانت الكلاب والقطط والجراء والدجاج تذرع تلال الرمال ، وتفل البحر ، تفتش عما يعنيها فيه ، وتموت مثلنا ، وكان قلبي يندس مثل خياطيمها ومناقيرها في ثرى الزرايب يوما بعد الآخر" [1] تفتتح الكاتبة المشهد بأداة إشارية (هنا) دالة على مكان محدد ومعروف وهو زرايب العبيد وما يحيط به ، ثم تصفه بقرائن تشبيهية واستعارية بليغة مستمدة من الطبيعة والأجواء المعتمة ، وفي مقدمتها (الليل) سليل الوحدة والغربة والخوف والرهبة والصمت وبخاصة فصل الشتاء ولوازمه المترع بالحزن والموت والأجواء الكئيبة ، للدلالة على روح الذات القلقة وضياعها . لذا تستأثر الكاتبة بحزمة من الصور البيانية فتقرن العزلة بجهنم والليل بالعتمة ، والشتاء بالوحشية . والبحر بالفقد وهي في مجملها تشي إلى الموت .مما يفاقم من غربة الذات النفسية ، والشعورية ، والوجودية ..

وهكذا ، تستثمر الكاتبة الرموز البانية للاغتراب الذاتي لتصوير حياة الجحيم في عالم زرايب العبيد كما يشيرعنوان الرواية .

الاغتراب الذاتي:

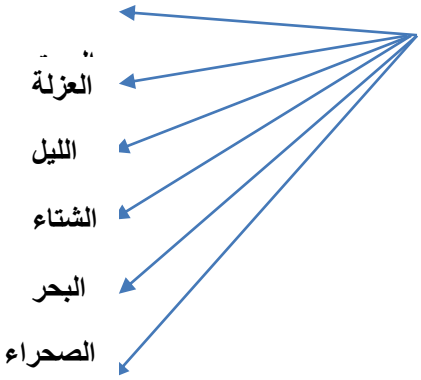

ولعلنا نلاحظ ارتباط الاغتراب برموز الطبيعة القاتلة مما دفع الكاتبة إلى تكرار الفعل (كان) مصحوبا بالجمل الاسمية الدالة على الثبات والجمود .لتسيطر اللحظة الحاضرة على المشهد . فتستثمر الكاتبة التصوير النفسي للذات ، وتقرنه بدلالات حاضرة ترتبط بإيقاع موت الكائنات العاقلة وغيرالعاقلة ظمأ وجوعا تماثلا مع موت رضيعها ، وتمدنا الأفعال (تذرع ، يندس ، تفتش ، تموت) باستمرارية ظاهرة الموت وتكرارها في الماضي والحاضر معا ، مما أدى إلى قبول الذات للموت واعتباره أمرا عاديا . وهوما يعرف بالاغتراب الذاتي " وهو اغتراب يتعلق بعدم إقرار الشخص بمشاعره ورغباته وأفكاره إلى الحد الذي تصبح فيه مكبوتة وغير مميزة " [2] لهذا نجد الكاتبة تجمع بين الألفاظ (خياطيم الكلاب ومناقيرالدجاج) وبين قلب الشخصية في صورة تراسلية فتمزج بين الحسي والمعنوي . (قلبي يندس في ثرى الزرايب).[3] معتمدة على تقنية التشخيص والتجسيد ، فتماثل بين القلب الذي أضناه الموت ، وبين الكائنات التي أضناها الجوع ، وهي صورة لا تبتعد كثيرا عن الواقع المأساوي الذي تعيشه المرأة اليوم .حيث يرمزالكلب والجراء إلى صورة الرجل في ذهنية المرأة ووعيها .أما القطة والدجاجة فتشي إلى صورة المرأة لسهولة انقيادهما .وهكذا " حين ينصهر الطرفان في بوتقة الاستعارة ، ينبثق من انصهار الطرفين دلالات جديدة ، هي مزيج من دلالات الطرفين متجمعة ،أي بمعنى أن يظل كل طرف محتفظا بدلالاتها القديمة مضافا إليها الدلالات المستجدة ".إن أهم ما يميزهذا المشهد المأساوي خلوه من أية إشارة زمنية ، فالزمن يكاد يكون معدوما ، لذا فالشخصية الرئيسة هنا تمثل اللاشخصية و اللابطل ، كشخصيات كافكا ، لأنها على حالة واحدة من بدية الرواية حتى نهايتها، وزمن القصة في الماضي ، لا يختلف على زمن السرد في الحاضر . ليصبح الحاضر نسخة طبق الأصل من الماضي. وهذا هو الزمن الوجودي الذي يمكن أن ندركه من خلال المدركات المادية المحسوسة

---

[1] بن شتوان : الرواية : ص 235

[2] البدراني ، حميد عبد الوهاب : الشخصية الإشكالية ، مرجع سابق ، ص 22

[3] الصايغ، وجدان عبد الإله : 2004 ، الأنثى ومرايا النص ، نينوى ، دمشق ، ص 139 .

، وحيث إن الذات تعيش زمنا قهريا يتناغم مع الاستعباد ، وعتمة الليل ، وجدب الرمال ، وغدر البحار، فهي تسير في دوائر مغلقة سرمدية . لتصبح غربة الذات مركبة : زمانية ، ومكانية ، واجتماعية ، ونفسية .

." لذلك فالتركيز على الحاضر ، يعطي بعدا وجوديا ...وهو بعد يدخل في انسجام تام مع مضمون الضياع ، فليس هناك بعد زمني يوحي بتجاوز الحاضر إلى المستقبل وحتى داخل الرواية نفسها لا يمكننا أن نتنبأ بما يمكن أن يقوم به البطل ....فكل ما هنالك لوحات متتابعة تصور معاناة الوجود المر . [1] ونظرا لكثرة المشاهد التي ترصد مظاهر الاغتراب الذاتي بأشكاله ومرجعياته المختلفة ، سنحيل القارئ إلى الصفحات المعنية لمتابعتها حتى لا نقع في رتابة الإطالة والتكرار الممل . [2]

ثانيا : – الاغتراب الوجودي :

تمثل الغربة الوجودية عصب الرواية وأساسها ، وهي غربة مأساوية درامية ، تستمد مشروعيتها من الواقع وما يفرزه من قضايا فكرية معقدة ، وتساؤلات فلسفية إشكالية ، تؤرق حياة الإنسان وذهنه ، يدورأغلبها حول الحياة ، والموت ، والوجود ، والهوية ، والحرية للبحث عن الحقيقة . فكلمة " وجود هي إحدى مرادفات كلمة الواقع ، بيد أنها اتخذت وجها جديدا ، بفضل التوكيد الذي أكده (كيركجارد) فأصبحت تدل على ما أنا إياه بصورة أساسية في نظري ...غايتها أن توجهني نحو هذا اليقين الذي ليس يقينا عقليا، ولا معرفة موضوعية ، بل نحو هذا الوجود الذي لا يمكن لأي شخص أن يؤكده لذاته ،ولا لذوات الآخرين ". [3] فإذا كانت شخصيات الرواية منزوعة الهوية والانتماء والنسب ، وتعيش في عالم فوضوي ،وعنصري ظالم يخلو من القيم الأخلاقية والدينية والإنسانية . فأي يقين ، وأية حقيقة سنبحث عنها ؟ إن أهم ما يميز الغربة الوجودية هو شعور الغريب بالعبثية ، واللامعنى ، والعدم . وهو ما يدورحوله مضمون الرواية . حيث جنحت الكاتبة إلى أسلوب التفلسف واعتماد الرؤية الفردية التي تقبل التأويل والتعدد ،إن أهم ما يتميز به هذا الأسلوب ، أنه " يؤدي بمن يعتنقه إلى مجموعة من الآراء شديدة التباين حول العالم وحياة الإنسان فيه " [4] ومن خلال استقرائنا لهذه الرؤية ، نتبين ملامح الغربة الوجودية في سلسلة العذابات التي كانت تتلقاها العبدة تعويضة خارج الزرايب في المكان الجديد (دار المومسات) على يد عبدة أخرى " تجرعت نعويضة الكأس بغية أن يحقق الله أملها في الموت "[5] تنم هذه الرؤية عن عبثية هذا العالم وعدم منطقيته فتختار الموت كخلاص من الظلم ، فتخاطب ذاتها في سيل متدفق من اللاوعي العشوائي مستندة على بنية تساؤلية خارجة عن الحكمة والعقل والمنطق قائلة " لماذا يحصل لي هذا؟ ماذا فعلت من ذنب أستحق بسببه هذه السلسلة من العقوبات

واللعنات؟ "[6]

أول ما نلاحظه على هذا الصراع الداخلي ، أنه لا يخص طرفين متناقضين ، بل يرتبط بعنصرين متماثلين في النوع والجنس . فليس ثمة اضطهاد بين سيد/ وعبد ، أو أبيض / وأسود بل بين عبد/ وعبد .امرأة/ وامرأة . يقول سارترفي هذا الصدد" ما يجري

---

[1] الحميداني، حميد: 1985، الرواية المغربية ورؤية الواقع الاجتماعي ، دار الثقافة ، الدار البيضاء ، ص381

[2] انظر، ص: 344، 341 ، 26، 123 ، 346، 336 .

[3] انظر ، العشماوي، محمد زكي ، : ص 26 ، ثم انظر ، حماد، محمد حسن الاغتراب عند أبي حيان ، مرجع سابق ، ص 69

[4] حماد ، محمد حسن : المرجع نفسه ، ص 64

[5] الرواية : ص 290

[6] نفسه : 293

على ذاتي يجري على الغير ، وكما أحاول أن أسيطر على الغير أو أتحررمن ربقته ، كذلك يحاول الغير أن يسيطر علي أو يتحررمن قبضتي ، فالصراع بيننا في حركة الشد والجدب لا ينقطع "[1]

وإذا عدنا لمضمون الرواية وتأملنا الحوار الذاتي جيدا ، فسنجد أن رجل الدين الشيخ (محمد الفقي) هو من يشرع عمل الجاريات في دار الدعارة ويشجعه ،وفي الوقت نفسه يرخص بفتوى إجهاض الأطفال غير الشرعيين ورميهم في القمامة للقطط والكلاب ، وهي رؤية بعيدة كل البعد عن التعاليم الإسلامية ، وتحمل كثيرا من التشويه والتحامل .ولعل الكاتبة هنا تلقي الضوء على النظام العالمي الجديد الذي يتخذ من الدين قناعا لاسترقاق الشعوب واستعمارها . وبخاصة استعباد المرأة تحت شعار تحريرها. وهي رؤية لا نجد لها مبررا سوى أن القوي هو صاحب السلطة فالعبدة الشوشانة التي تشرف على هذه الدار مستعبدة من قبل الشيخ الفقي ، وهي بدورها تمارس هذه العبودية على من أضعف منها .ورغم ذلك ،إن مثل هذه التساؤلات المتصارعة تشكل بذرة وعي (تعويضة) بوجودها لكنها لا تجرؤ بالإفصاح عنه انسجاما مع البنية المحورية الكبرى التي يقوم عليها عنوان الرواية وهي (الصمت) . وفي الوقت ذاته تشكل " تساؤلا استفهاميا استنكاريا ، ينطوي على شعور بالاحتجاج والسخرية والرفض ولا منطقية هذا الكون الذي يفتقر إلى المنطق أوالتنظيم أو الإقناع هو وجودعبثي يدفع الإنسان إلى حالة من الاغتراب والعبث التي يعاني منها الإنسان في العصر الحديث "[2]. يبدو ذلك واضحا حينما تشعر الذات بأن الحياة لا معنى لها ." ولتصبح حياتها أو موتها على السواء أكثر هدوءا ، كانت تزداد صمتا ، وإعياء ، وعزلة "[3] ليس هناك شك ، من أن رؤية الراوي العليم للحياة هنا ، تصور نزعة فلسفية وجودية ، وهي اللامبالاة ، والشعور بالعدمية فليس ثمة إحساس تجاه الحياة أو الموت أو الوجود برمته ، ما دام كل شيء أصبح مباحا. وقابلا للبيع والشراء " وربما يكون الإحساس بالعبث والقرف الوجودي ، والوحدة والخواء ، والموت في الحياة هو الإحساس الرئيسي الذي يسيطر على أجواء الرواية من أولها إلى آخرها . يقول موريالك بهذا الصدد :إن يأس الإنسان المعاصر قد تولد بسبب قناعته أن العالم تافه عبثي ." [4]

وهل يختلف هذا المضمون عن صورة العالم الذي نعيشه اليوم ؟ ألم يحول الرجل الغربي الأبيض الإنسان الأفريقي الأسود إلى دابة يباع ويشترى ؟ ألم تمثل واقعة قتل جورج فلويد الأمريكي الأسود على يد الشرطي الأمريكي الأبيض كمدا وكتما لأنفاسه بالصورة على شاشات التلفزيون مثالا صارخا لعنصرية النظام الأمريكي وساديته ؟ وهو ما يعد إسقاطا لرجل العالم الغربي الأبيض ، و تجار الرقيق المستغلين .

وتتكررمشاهد الاغتراب الوجودي وتتعمق ويصل حده حينما يصبح الانتحارخيارا لا بديل عنه ،وراحة نفسية من عبث الحياة " أريد سما ، أريد أن أموت ، أخرجوني من هنا " [5]

لعلك تلاحظ تكرار لفظة بعينها ، تدل على الرفض القاطع للعيش في مكان له دلالة خاصة في امتهان كرامة المرأة وحقها في الوجود ، ولا تجعلنا الكاتبة ننتظر طويلا لمعرفة هذه الدلالة ، فيأتي الرد على لسان الجارية عيدة :" إنها حقا جارية بحكم من الله ،

---

[1] الصباغ ، رمضان : فلسفة الفن عند سارتر، مرجع سابق ، ص 45

[2] الزعبي ، أحمد : في الإيقاع الروائي ، مرجع سابق ، ص100

[3] ا بن شتوان ،نجوى : الرواية ، ص 302

[4] الزعبي ، أحمد : المرجع السابق ، ص 98

[5] بن شتوان ، نجوى : الرواية ، ص 298

لكنها ليست مومسا كما يريد لها البعض ، إنها مبعدة قسرا عن رجل أحبته، وبيت نشأت فيه واعتادته ثم باتت عودتها إليه مستحيلة ، فأين ستمضي إن تمكنت من الفرار من الماخور " [1]

والحقيقة ، أن حالات الفقد المتكررة ، تشكل الأثر الأكبر في تعميق حالة الضياع الذي تعاني منه (تعويضة) ، فقد الحبيب، وفقد المكان، وفقد الأمومة ، وفقد الابن ، وفقد الوطن ، وفقد الأهل ، وفقد الأحبة ، وفقد الأصدقاء ، كلها صعدت من وتيرة الاغتراب الذي تعايشه الذات . وهي فكرة مسبقة نهض عليها البناء الروائي منذ البداية . فبدت الأحداث روتينية مملة أفقدت الرواية عنصر المفاجأة لذا لا " نجد أية قيمة أو وسيلة للتغلب على العبث والاغتراب والخواء الذي يفوح من كل مكان ، وينبعث من كل زمان ، وينطوي عليه كل حدث أو مشهد من مشاهد الرواية "[2] في ضوء ما سبق ، أثارت الكاتبة قضايا فلسفية عدة ، تستمد سندها من الثقافة الوجودية التي لمسناها عند بعض الوجوديين ، مثل : سارتر، وت.س.إليوت ، وألبيركامو، وكولن ويلسون . ففي قول الذات (أريد أن أموت) ، (وأريد سما) ،و(جارية بحكم الله) نزعة فلسفية وجودية وهي أن الإنسان ملقى في هذا العالم دون سند خارجي ، وأن ما يحدث له قدرا ومقدورا لا حول له ولا قوة ، لذا عليه أن يتقبل الموت برضى وشجاعة للخلاص من الاغتراب والعبثية . وهي رؤية تنم عن أن كل ما يحصل للإنسان يقع تحت طائلة القدرية والحتمية كما يرى (مورباك) والذي عارضها بشدة سارتر بوصفها تشل حركة الإنسان وإرادته[3] .وأمام هذا الواقع المأساوي، لم يبق للذات سوى طريقين : " إما أن تظل وفية ليأسها ومؤمنة بوحدتها على طريقة ألبيركامي ، وإما أن تقوم بوثبة إيمانية تتجاوزبها اغترابها على طريقة كيركجور. .وقد اختارت –تعويضة– اللجوء إلى الله طريقا تعبر منه من اليأس إلى الأمل ، وهذا ما اعتبره ألبير كامي هروبا وفرارا من اليأس،وأطلق عليه الانتحار الفلسفي"[4] يتجلى هذا المعنى بوضوح حينما لجأت (تعويضة) إلى الله وأخذت تناجيه بعبارات لا تخلو من اليأس والألم حينما أمرتها مسؤولة الدار(الشوشانة) أن تلقي بطفل غير شرعي في القمامة فهربت بهذا الطفل لتربيه عوضا عن رضيعها الشرعي الذي قتل على يد السيد ابن شتوان ، ثم اختارت (مفتاح دقيق) اسما له .تيمنا بالفرج ، وجلب الخير . من هنا اكتسب اسم تعويضة دلالته أيضا . مما يدل على أن الكاتبة لا تختار الاسم صدفة لشخصياتها ،وإنما لدلالة معينة .

تخاطب (تعويضة) الطفل اللقيط قائلة " أنا وأنت ليس لنا أحد في هذا العالم سوى الله ، سنمشي حتى تشرق علينا الشمس ، ويسمع الله دعواتي..صحيح أن الله لن يستجيب لعاهرة ، لكنه يعلم أنني جعلت عاهرة وجارية ولم يكن شيئا باختياري .أنا لم أقرر شيئا لي ، أنا عاهرة سوداء ، وأنت لقيط أبيض"[5] تستثمرالذات التماثل بينها ،وبين الطفل اللقيط غير الشرعي ، فكل منهما منزوع الهوية والجذور والانتماء،ووجد نفسه في عالم دون اختياره ،. وهي رؤية وجودية قدرية" قائمة على تفكير معين لحقيقة وجود الإنسان في هذا الكون فهو ملقى به في هذا العالم دون أن يختار وجوده ، ولهذا وجب أن يؤكد بطولته ، ويتحدى القدر الأعمى بمواجهة الموت ، هذا المصير المحتوم برضى وشجاعة . "[6]

إن هذه الرؤية القدرية تشل حركة الإنسان وإرادته نحو التغيير ، وتخلق فكرا اتكاليا ونماذج مكرورة وممسوخة ، وكأن العبثية قوى غيبية وقدرا ومقدورا لا يجوز التمرد عليها ، لذا يقوم المشهد السابق على صيغة (الأنا) مقرونا بواو المصاحبة للضمير أنت

---

[1] نفسه : ص 293

[2] الزعبي ، أحمد : مرجع سابق ، ص 105

[3] انظر الصباغ ، رمضان : المرجع السابق ، ص 292

[4] انظر ، حماد، محمد حسن : مرجع سابق ، ص 69

[5] بن شتوان، نجوى : الرواية ص 310

[6] لحميداني ، حميد : مرجع سابق ، 375

للدلالة على التماثل الوجودي والهموم المشتركة . فالضمير(أنا) يتوحد مع الضمير(أنت) في عدم النطق ، والقدرة على الحديث ، ليصبح أنا المتكلم هوذاته أنت المستمع . وهو ما يعزز بنية الصمت ، التي نهض عليها عنوان الرواية وغلافها .

الأنا ـــ جارية – عاهرة – سوداء – غير معترف بها ، بلا هوية

أنت ـــ لقيط – أبيض – غير معترف به – ابن عاهرة – بلا هوية .

لا شك أن الكاتبة هنا تماثل بين ضياع تعويضة وسقوطها والذوات المشابهة لها في عالم الرذيلة ، وبين ضياع الأجيال ومستقبلها . ثم تسعى إلى تبرير هذا السقوط بأنه مقدر ومكتوب ،مما يساهم في ضبابية تحديد المسؤولية تحديدا دقيقا ، فنجدها تلجأ إلى تقنية التماثل من ناحية ، والتضاد من ناحية أخرى ، انسجاما مع شخصيتها المتناقضة وما يعتريها من مشاعر متباينة . فتحاول أن تلتقط المعاني الإنسانية من مستنقع الانحطاط الأخلاقي ، سعيا إلى تأسيس بنية النفي لتؤكد عدم مسؤوليتها عن الوضع الذي وصلت إليه ، وهي رؤية غير مقنعة أوقعت الكاتبة في مزالق سطحية الاتجاه الوجودي . حيث لم نعثر على علاقة عاطفية سوية ،فجميع العلاقات العاطفية والجنسية غير سوية ، وتتسم بالخيانة والفشل بوصف المرأة مادة لإشباع رغبة الرجل فحسب ،وهنا يحضرنا السؤال التالي : هل تبدو مقنعة المسحة الإيمانية والرجوع إلى الله على لسان امرأة عاهرة ؟ في اعتقادي ، قد يكون ذلك مقبولا مجازا وليس واقعا .لأنها شهادة عل ذلك العصر لنقده ، وتجاوزه في المستقبل .

من هنا تصبح العلاقات بين الشخصيات جميعا ، علاقات مشوهة ، وفي صراع مستمر لا يتوقف دون تغيير يذكر . خاصة حينما أصبح الجنس واجبا وضروريا وليس أمام المرأة من بدائل أخرى .حيث كانت أغلب المشاهد التي تصور الجنس تشي بالرضى ، والنشوة . وهو ما أدى إلى تفشي ظاهرة الجنس بصورة مبتذلة ومقززة .وهذا المنظور وجدنا صداه من قبل في رواية (نجمة) للروائي الليبي خليفة حسين مصطفى حيث كان الجنس رافدها الأول والأخير .

لذا فاستخدام فعل المستقبل القريب – سنمشي وأن شمس الحرية ستشرق – لا جدوى منه ولا قيمة له . لأن الذات لا تملك القدرة على التنبؤأو التغيير ، وأن دلالة الشمس تفارق الواقع المعتم ، وفي الوقت ذاته تخالف الرؤية القدرية التي استندت عليها الكاتبة منذ البداية . مما يدل على أن صراع الذات ليس صراعا مع القدر، " بل أصبح بين الإنسان والواقع ، تتحكم فيه عوامل البيئة والوراثة، وقوى القهر والظلم في المجتمع ، فقد يصارع نظاما جائرا ، أو طبقة مستغلة ، أو حاكما ظالما ، بالإضافة إلى وجود الصراع الداخلي بين الإنسان ونفسه "[1] .

إن تعاطف الكاتبة مع الأطفال الأيتام ، واللقطاء ، والفقراء من ناحية ، والتزامها بالنزعة الفلسفيةالوجودية من ناحية أخرى قد أوقعها في مزالق . ففي الوقت الذي نجدها فيه تدين الفساد والقهر ، نجدها تنحاز إلى علاقة الذات برمز من رموز هذا الفساد متخذة من الفلسفة الماركسية بنية فنية لرؤيتها تارة ، والاتجاه الوجودي تارة أخرى ، وهو ما جعلها أسيرة التخبط والتشويش مما دفعها إلى الفلسفة الإسلامية الروحية أسوة بالفلاسفة : (ابن سينا ، وأبي حيان التوحيدي ، والفارابي) أملا في تحقيق العدالة ، والحياة الكريمة المنشودة . حيث تضعنا مباشرة ودون مقدمات أمام محمولات لسانية مثقلة بالدلالات والإشارات السيميائية الإيحائية من خلال مشهد وصفي ، ينم عن طبيعة العلاقة بين الرجل والمرأة في مجتمع ، تحكمه مسطرة العادات والأعراف التقليدية الصارمة ، ، وذلك حينما قرر السيد (علي بن شتوان) زيارة منزل عتيقة بنت الجارية تعويضة ، وأخبرها ابنها بأن ثمة رجل يريد مقابلتها ، فاستأذنت زوجها (يوسف) للحديث معه " ومعها كم هائل من التساؤلات ، مدت عنقها من وراء الستار الذي ينسدل على الباب ، حتى صارت في منتصفه ونظرت من يكون الرجل . كان واقفا أمام البيت مديرا ظهره للباب باتجاه الشارع " [2]

---

[1] العشري ، أحمد : 1992، البطل في مسرح الستينيات ، الهيأة المصرية للكتاب ، القاهرة ، ص 64

[2] بن شتوان ، نجوى : الرواية ، ص 10

يكشف المقطع الوصفي السابق عن حياة زوجية مستقرة ، فليس ثمة صراع بين المرأة والرجل . ،فعتيقة تعمل ممرضة في مستوصف ، وتعين زوجها العجوز الذي أحبته ، و هي راضية ومقتنعة بوضعها الاجتماعي ، ولاتجرؤ على الحديث مع رجل غريب دون أن تستأذنه ، وهنا نقلة نوعية في النظرة إلا المرأة مخالفة لما وجدناها سابقا . فقد أصبحت المرأة قيمة إنسانية للحنان والعطاء . وليس مادة للجنس . وتمدنا دلالة (ا لستار) الذي يعني الحجاب بتعزيز بنية التباعد، والانفصال بدلا من التفاهم والتقارب، أما موقف الرجل خارج الباب فتكمن دلالته في تكريس بنية التناقض بين عالمين : عالم الأسياد / وعالم العبيد .إذ أنه لم يتحدث مع الزوج ، ولم يطلب مقابلته ، بل خصص الحديث مع عتيقة بالذات ومن خلال الستار ، ومديرا ظهره للباب . لقد اختارت عتيقة الانصياع لطاعة الزوج والاستسلام للأمر الواقع مع من بني جلدتها عن الحرية والاستقلالية مع الآخرين ، " ما دامت المرأة بصفة عامة موسومة بالنقص والقصور في إطار نظرة المجتمع الأبوي الذكوري ، فهي تفضل أن تحتمي بوصاية رجل واحد على أن تشيع الوصاية عليها لكل من يحيط بها " [1] لهذا لم تجد أمامها سوى طرح جملة من التساؤلات الاستنكارية التي تنم عن الاغتراب الوجودي الثقافي والاجتماعي .معا . لنقرأمعا ما يدل على ذلك :

– من أنت ،وماذا جئت تريد؟ – أريد أن أتكلم مع عتيقة بنت تعويضة .

– ومن أنت؟ –أنا علي بن شتوان .– من؟ – هلا سمحتي لي بالدخول؟

– لا أستطيع أن أدخلك ولا أن أسمعك ، أنت غريب عني وليست بي حاجة لحديثك ، لا تقلقني بشيء، لم يعد ثمة جدوى "[2] إن هذا الحوار يندرج تحت إطار سؤال الهوية . فعتيقة ولدت لأب تجهله ، وأم لا يعترف العالم بوجودها . وفي هذا المقام سؤال الهوية يطرح نفسه بقوة على السرد (من أنت؟) ، لذا نجده لا ينسب عتيقة للأب بل لجارية سوداء عبدة (عتيقة بنت تعويضة) ، من خلال أسلوب إنشائي يقترن باستفهام استنكاري يتسم بجمل مقتضبة ، يغلب عليه بنية النفي بجميع أدواته الدالة على الخواء ، وعبث الحياة ، والعدمية ،دون أي اعتبار عن قدسية المكان ، أو الضيف ، أو الزمان ، أوأي شيء . (لاأستطيع،لا أسمعك ، ليست بي حاجة ، لا تقلقني ، لم يعد). وهكذا " فالجمل الاستفهامية بسؤالها وجوابها مطبوعة بأدوات تحدد معن الاستفهام ، موسومة بالترتيب المحكم والتوليد المعنوي الخصب ، والإخبار الجاري بين متكلم وسامع "[3] وفق هذا المنظور، يكشف الحوار السابق عن استباق إعلاني يثير الدهشة والاستغراب ، تمهيدا لحدث رئيسي لقصة لم تكتمل أبعادها. في ذهن المتلقي. "سأضع لك على العتبة(كاغدك) [4] الشرعي لتأخذينه.....وقال:.سلام الله عليك يا عتيقة بنت محمد بن امحمد بن عبد الكبير بن علي بن شتوان . هذا حقك رد إليك فخذيه ولا ترديه "[5] لعلك تلاحذ اشتراك الكاتبة وعتيقة في اللفب نفسه ، مما يدل على تماثل القرائن التوصيفية للاغتراب بينهما ، لتكون عتيقة هي ذاتها المؤلفة ،.فتنهال في ذاكرتها جملة من التساؤلات الاستنكارية التي تفتح جراح الماضي وعذاب الحاضر فتسأل بنبرة حادة " لماذا تنكأ جراحي يا حاج علي ؟ لماذا تطل الحكايات بعد فوات آوانها ؟ هل لتصحيح ما ورد فيها ، أم للاعتذار؟ "[6] تدخل الذات في دائرة جديدة من الوعي باستدعاء الماضي في لحظة آنية حرجة ، حيث يمثل حضورهوية النسب الآن غيابها في مجتمع يعرف بصراع الهويات القاتلة اعلى حد قول الكاتب المهجري المعروف (أمين معلوف) " التي تقوم

---

[1] البدراني ، حميد عبد الوهاب : مرجع سابق ، ص 22

[2] بن شتوان ، نجوى : الرواية ، ص 10

[3] المؤتمر الأول للقصة القصيرة : مرجع سابق ، ص 88

[4] تعني وثيقة النسب الشرعية

[5] بن شتوان ،نجوى : الرواية ، ص 11

[6] نفسه : ص 12

على التعصب والتطرف ، وتنطوي على نزعة قبلية بغيضة مفرطة في تعصبها العرقي أوالديني ، هدفها إزاحة الآخ واستئصاله"[1].يتمثل هذا المعنى حينما عرفت الهوية بمسميات عنصرية ثنائيةوقبلية مثل: أبيض/أسود، رجل/ امرأة ، عربي/ زنجي . وهو ما أدى إلى تدهور الهوية الذاتية وخلخلتها . " القاع مليء بما تعجز عتيقة عن وصفه ، ونادرا ما كانت . تتكلم مع أحد ، يوازي ذلك الصمت حديث طويل مع الروح عن قلق الهوية ما بين أسمر وعينان لوزيتان ، وحزن ليس له انتماء إلى دم محدد"[2] وهنا تتعمق أزمة الهوية بين أب عربي لا تستطيع التصريح به ،وزوج زنجي لا يعترف به مما يجعل وجوده غير مرغوب به ، وإن وجد فهو مهدد بالقتل أو الطرد.أليس القتل على الهوية والتهجير القسري هو ما نراه اليوم؟

ولذلك فإن السؤال في تشكلاته المتعددة والمتباينة ، سؤال هوية متوترة ،" تبحث عن سبيل إلى التقدم في تعارضها العلائقي مع آخر يبدو أنه يفرض عليها التخلف ، ولا تدرك هذه الهوية نفسها ، أو تعي حضورها على نحو ما يتجلى في سؤالها إلا في تناقضها مع غيرها .....وآية ذلك أن العملية التي تنفك بها شفرة الصياغة اللغوية للسؤال ليتحدد معناه في ذهن سامعه تعتمد على إطار مرجعي ، هو سياق مضمر أو معلن من التعاروهنا تتعمق أزمة الهوية بين أبضات الثنائية التي تضع الأنا مقابل الآخر، ....كما تجعل من إثبات الآخر وحضور هويته نفيا للأنا ، وتغييبا لحضور هويتها "[3]. يبدو ذلك واضحا عندما تختل وظيفة التصور لدى (عتيقة) فستند على أم الاختيارية للتخفيف من حالة الذهول ، والتوترالذي كانت تشعر به حين سلمها السيد علي كاغد النسب ، مستخدمة أسلوب النداء (يا حاج علي) "بوصفه يحمل دلالة الحث على الاهتمام بموضوع الكلام ...والدلالة الفنية للجمل الطلبية التي تتبع النداء من حيث طبيعتها التركيبية ، كجمل قصيرة وتركيزها على المطلوب دون إطناب في الكلام "[4]. إن تفاقم الاغتراب الذي تشعر به عتيقة ، يوازي قلق الشعور بالهوية الحقيقية التي تفتقدها . لهذا تحاول أن تتصل بالأشياء التي تحقق لها ملكية الانتساب إلى الهوية المفقودة بدلا من البشر . "إنها عباءة أبيك ..إن اسمه مطرز عليها بالرسم العثماني .هذه عباءة أبيك حين كان يتزين ويتجمل ردت إليك وهي من حقك "[5]لا شك أن لفظ (الرسم العثماني) يمدنا بالعصر العثماني ،أما رمزية العباءة فترتبط بالزي الإسلامي والماضي الجميل الذي يرتبط بلقاء الأحبة ، وقداحتفظ بها الحاج علي ليسلمها إلى عتيقة. وحيث أنها كانت أمانة، فيجب أن تسلم الأمانة لأصحابها من الأجيال اللاحقة ، للمحافظة على تراث الآباء والأجداد ، اعترافا بهويتهم وحقهم في الوجود .ولعل كاف الخطاب (أبيك، إليك ، إليك) تعززأحقية الذات بهذا التراث وملكيتها له . إن أهم ما تقوم عليه هذه الرؤية هو ، أنها اختزلت الهوية في الزي الخارجي . فالعباءة ترتبط برجل يعد رمزا للفساد ، وعتيقة زوجة رجل زنجي غير عربي ويعمل في الإرسالية الإيطالية ، ولا يعيراهتماما للتراث العربي الإسلامي .مما يشي أن الذات تحتفظ بهوية ذاتية مغلقة . لا تتعدى عالمها الضيق والمحدود " إن التركيز على الأشياء لا يكون مقصورا في حد ذاته بقدر ما يعد الإرادة والرغبة والإصرارعلى تحديد الهدف ، وبدافع هذه القوة يتولد التركيز على الأشياء ، بوصفها عوائق تحول دون الحركة الحرة ، وبدافع هذه القوة ، يكون الإصرارعلى انطلاقة الفكرالتي تعد الخطوة الأولى لتأكيد الذات "[6]

في ضوء ما سبق فغربة الكاتبة هي غربة أي مثقف على مدى العصور أينما كان ، وإن بلغت ذروتها في العصر الحديث حيث

---

[1] عصفور، جابر 2010 ، الهوية الثقافية والنقد الأدبي ، دار الشروق ، القاهرة ، ص 85

[2] بن شتوان ، نجوى ، ص 12

[3]عاشور ، رضوى : صيادو الذاكرة ، مرجع سابق ، ص 142.

[4] الحداد، عباس يوسف : 1994 ، الأنا في الشعر الصوفي ، دار المحور ،سوريا ، ص، 118 .

[5] بن شتوان ، نجوى : ص ، 340

[6] إبراهيم ، نبيلة : 1990، التشكيل الجمالي في أدب طه حسين ، مجلة فصول المصرية ، مج 9،ع1، ص، 49 .

استبدلت العبودية القديمة ، بعبودية جديدة أشد ضراوة وشراسة ، وأصبحت سلوكا يوميا تمارس في العمل ، وفي الشارع ، وفي البيت . وقد حاولت الكاتبة أن تبني ما هدمه الواقع من خلال الإبداع ، لكنها لم تستطع مستندة على وعي الأجيال القادمة في المستقبل دون حل يذكر .

الخاتمة :

بعد أن تجولنا في أروقة الخطاب الروائي الموسوم ب....زرايب العبيد للمبدعة الليبية نجوى بن شتوان بحثا عن الاغتراب ودلالاته البانيه له ، وأثره في تشظي الذات وتمزقها ، كانت حصيلة هذه الدراسة جملة من الملاحظات التي تنم عن رؤية نقدية ذاتية ، تقبل التقويم والتعديل . وتتلخص فيا يلي :

- اعتمدت الكاتبة في توثيق التاريخ على فلسفة إيديولوجية ذاتية خاصة ، فسلطت الضوء على رؤية الفقراء والضحايا ، والمهجرين ، والمهمشين الذين تتصدرهم المرأة ، استنادا على ذاكرة الجدات ، والمشاهدة والمعاينة ، بعيدا عن الوثائق الرسمية التاريخية ، وهي رؤية معاصرة ، يتعلم منها القارئ أكثر مما يتعلمه من التاريخ . حيث استدعت الكاتبة تاريخ العبودية القديم ، لتميط اللثام عما لم يذكره التاريخ من ناحية، ولتقارن بين عبودية الأمس وعبودية اليوم من ناحية أخرى .

- برعت الكاتبة في استدعاء ذاكرة تاريخ منسي ومهمل لعلاج قضايا معاصرة ، وهي رؤية فلسفية تنظر إلى الزمن بأنه ثابت ، جامد ، تكاد تنعدم فيه جميع وسائل الحركة والتغيير ، مما جعله يتسم بالتأملات الفكرية ، والرؤى الوجودية العميقة ، والصراعات النفسية ، التي تعتمد على المهادنة ، فالفساد والظلم ، والفقر ، والقتل ،والاغتصاب ، قيم ترفضها ، وفي الوقت نفسه تشعر بالنشوة ،ولا تجرؤ على فعل التغيير ، وتكتفي بطرح تساؤلات استنكارية ، تخص مغزى الحياة ، والموت ، والعقيدة ، وهي تساؤلات استمدت حضورها من الشعور بالدونية ، والعجز ، والانكسار ، والاغتراب ، وانهيار القيم الدينية والأخلاقية والإنسانية مما جعل الذات تشعر بأزمة وجودية قاتلة ، وتختار الموت برضى وشجاعة عن الحياة في عالم عبثي لا معنى له .

- نسجت الكاتبة خيوط الخطاب الروائي من سيرتها الذاتية والفكرية ، وأخذت الرواية تعج بالاتجاهات الفلسفية ، التي نشتم منها رائحة الاتجاه الماركسي تارة ، والاتجاه الصوفي تارة أخرى ، غير أن الاتجاه الوجودي كان الأكثر هيمنة على معظم مشاهد السرد ، حيث كان لنشأتها وإقامتها خارج موطنها دور كبير في شعورها الدائم بالاغتراب الذي لمسناه عند بعض الوجوديين مثل: جان بول سارتر، وألبير كامو، وت. س. إليوت ، لكن الكاتبة خالفت رؤية هؤلاء االفلاسفة للتخلص من الاغتراب واقتربت من رؤية كيركيجورفي التوجه إلى الله ،والتضرع إليه بدلا من الوحدة والعزلة .

- نهض عالم الرواية على الثنائيات الضدية، وتحكمت المفارقة في جل مشاهد السرد ، ومن أهم هذه الثنائيات:الحياة / والموت، السيد/والعبد ،الأبيض/ والأسود،الصمت / الصوت .قديم/ حديث ، حرية / عبودية . وهي في أغلبها تحمل معاني التنافر والانفصال ، حيث كشفت المفارقة عن سلبيات العالم القديم إبان العهد العثماني ، وإيجابيات العالم الجديد إبان الاحتلال الإيطالي ، وهي رؤية تفتقد إلى الموضوعية وتجعلنا نتساءل : ألم يكن إعدام البطل عمر المختار من قبل الاستعمار الإيطالي ثمنا للحرية وفرارا من العبودية ؟ وأي حقوق في وطن محتل يباع فيه الإنسان ويشترى كدابة ؟ جدير بالملاحظة ،أن الكاتبة قد أشركت بعض الحيوانات مثل القطط والكلاب في انتهاك حقوق الإنسان مما يدل على

حقيقة أي محتل استعماري . وهكذا فتحت المفارقات المجال واسعا أمام رصد تناقضات النفس البشرية ، وما يعتريها من مشاعر متباينة ، كما يشير العنوان .

- نهضت الرواية على فكرة مسبقة من البداية حتى النهاية من خلال الشخصية المركزية (تعويضة) ، حيث حظيت باهتمام ملحوظ من قبل الكاتبة ، وأفردت لها مساحة واسعة من السرد ، وجعلت الشخصيات الأخرى تدور في فلكها ، وهي رؤية تتناقض مع متطلبات الحياة المعاصرة ، وما تدعو إليه الكاتبة من التمرد على السلطة الأحادية ، علما بأن عتيقة بنت تعويضة ، الشخصية الثانوية ،هي التي قامت بسرد المسكوت عنه . كما بنت الحدث الرئيس على علاقة عاطفية محرمة في الأعراف والتقاليد السائدة بين االسيد محمد بن شتوان / والعبدة تعويضة ، وقد أخذت على عاتقها مسؤولية هذا الاختيار ، رغم الظهور الشبحي للرجل الذي أحبته ، وهي تعلم علم اليقين بأن اختيارها سيقودها إلى الموت ، وهي رؤية تستمد وجودها من الثقافة الوجودية المسبقة ، والتي حددت نهاية الرواية قبل أن نصل إليها ، وأفقدها عنصر الدهشة والمفاجأة .جدير بالملاحظة أن الكاتبة لم تستند على معطيات الوجودية الغربية استنادا حرفيا ، بل سارت على نهج خاص بها . حيث ارتبط الاغتراب بتجربتها الخاصة ، وهذا ما أوقعها في السطحية أحيانا .

- حققت الكاتبة بعض التفرد في استخدام التقنيات الفنية لإبراز صور الاغتراب ، وأزمة الهوية في المستويين : ففي المستوى التركيبي، لجأت إلى تقنية سرد اليوميات أسوة بسارتر في رواية الغثيان ، والبناء الملحمي الذي ينسجم مع واقع فوضوي غير مستقر . كما لجأت الكاتبة إلى جملة من البنيات اللسانية مثل: التكرار، والنفي ، والنداء، والالتفات ، والتساؤلات الاستنكارية الملحة الدالة على الحيرة والقلق والتوتر . دون أن نسمع صوتا للمرأة فهناك من ينوب عنها دائما ، وذلك لتعميق بنية الاغتراب .

أما على المستوى الدلالي ، فقد اهتمت الكاتبة بتقنية القرائن التشبيهية التماثلية بين البشر ، والكائنات غير الناطقة التي تصب في بوتقة (الصمت) وفقا لدلالة العنوان . كما استندت الكاتبة على قرائن استعارية مستمدة من عناصر الطبيعة والأجواء المعتمة وفي مقدمتها الليل ، سليل الصمت ، والخوف ، والرعب ، ، والشتاء ولوازمه المترع بالحزن ، والأجواء الكئيبة الدالة على ضياع الذات وقلقها . كما برعت الكاتبة في تفجير بؤر ملغمة بالفقد ، مثل البحر ، وهي في مجملها تشي بالموت . مما يفاقم من غربة الذات النفسية والمكانية والزمانية والوجودية . لتصوير حياة الجحيم داخل زرايب العبيد وخارجها . مما جعل الشخصية الواحدة تحمل أكثر من صورة للاغتراب في آن واحد . نتيجة قائمة الممنوعات والمحذورات التي يفرضها المجتمع .

- ارتبط الاغتراب بالفلسفة ارتباطا وثيقا وبخاصة الوجودية ، وقد بينت الدراسة أنها وليدة الواقع وما أفرزه من تدهور للقيم الأخلاقية والإنسانية ، ولم تقتصر على النخبة الخاصة من الفلاسفة ، بل امتدت إلى العامة أيضا ، غير أنها لم تلق قبولا لدى القارئ بسبب المفاهيم الخاطئة التي تخص العقيدة الدينية ، علما بأنها تفتح المجال واسعا أمام الوعي والمعرفة والتأمل والفكر . فلولا الشعور بالاغتراب والضياع ، لما بحثت عتيقة عن الحقيقة ، والهوية المطموسة لإثبات نسبها .

لذا يمكننا القول ، إن تجربة الكاتبة الليبية المبدعة (نجوى بن شتوان) من أكثر التجارب الإبداعية اقترابا للواقع ، وانتماء إلى أدب الاغتراب . فاغتراب الكاتبة هو اغتراب أي مثقف يعارض القيم السائدة ، ولا يستطيع أن يتقبلها في أي عصر من العصور ، ويدفع

حياته ثمنا لها . لقد استطاعت الكاتبة بناء اتجاه نقدي نسوي خاص بها ، يرفض جميع أشكال العبودية أملا في بناء فردوس أرضي ، يسوده المحبة ، والحوار، والتسامح ، والتعدد والاختلاف ، والتفاهم ، والعلاقات الإنسانية السوية ، لكنها ألقت مسؤولية التحرر والتمرد على أشكال العبودية على الأجيال القادمة دون حل يذكر . وهواتجاه لا يمكن تحقيقه ، وسيظل رهين الانتظار في المستقبل . .

مصادر البحث ومراجعه :

1- إبراهيم، عبدالله :1985،المتخيل السردي، المركز الثقافي العربي، بيروت .

2- أبراهيم ، نبيلة :1990، التكيل الجمالي في أدب طه حسين ، مجلة فصول المصرية ،مج 9،ع1,

3- البدراني ، حميد عبد الوهاب: 2014،الشخصية الإشكالية ،دارمجدلاوي، عمان ، الأردن .

4- أبو عزة ، محمد:1425، من النص إلى العنوان ، علامات،ع53، جدة .

5 –إسماعيل، عز الدين : 1990، جماليات الالتفات ، النادي الثقافي ، جدة .

6- إيجلتون ، تيري : 1985، الماركسية والنقد الأدبي، مجلة فصول المصرية ،مج15،ع3 .

7- بوتور، ميشال: 1996، بحوث في الرواية الجديدة ، ط3، منشورات عويدات، بيروت .

8- ابن منظور : 2003، لسان العرب ، دار الحديث، القاهرة .

9- بن شتوان ،نجوى : 2016 ، زرايب العبيد ،دار الساقية ، بيروت .

10 –بنكراد ، سعيد : 2003، سيميولوجية الشخصيات السردية ، دار مدلاوي، عمان ، الأردن .

11 – توفيق، سعيد :2015،أزمة الإبداع في ثقافتنا المعاصرة ، الدار اللبنانية المصرية ، القاهرة .

12 –جعفر ، عبد الوهاب :2004، الفلسفة واللغة ، ط2، دار الوفاء، الإسكندرية .

13 – الحداد ،عباس يوسف:1994، الأنا في الشعر الصوفي، دار الحوار، سوريا . –

14- الحفني ، عبد المنعم :1992،الموسوعة الفلسفية ، دار المعارف ، تونس .

15 – حماد ، حسن حماد: 1995،الاغتراب عند أبي حيان ،مجلة فصول المصرية،14 ،ع3.

16 – الحنصالي، سعيد : 1995،بداية ونهاية ، دار توبقال ، الدار البيضاء .

17- الزعبي، أحمد: 1986، في الإيقاع الروائي ، دار الأمل ، عمان ، الأردن .

18 –ة زعرب، صبحية عودة : 2017 ، تحليل النص الأدبي في ضوء النظريات النقدية الحديثة ، دار مجدلاوي ، عمان ، الأردن

19- زعرب ، صبحية عودة : 2005، جماليات السرد في روايات غسان كنفاني ، دارمجدلاوي،عمان

20 – عاشور، رضوى :2016، صيادو الذاكرة ، درا الشروق، القاهرة .

21- زيما ، بيير: 1985،النقد الاجتماعي ،ت، عايدة لطفي، دار الفكر، بيروت .

22- عثمان ،عبد الفتاح: د.ت ، الأسلوب القصصي عند يحيى حقي، مكتبة الشباب ، القاهرة

23–عصفور، جابر: 2010، الهوية الثقافية والنقد الأدبي ، دار الشروق ، القاهرة .

24- العشري، أحمد: 1992، البطل في مسرح الستينيات ، الهيأة المصرية العامة ، القاهرة .

25- العمصي ، أمين صالح : 1995، الغربة والحنين في الشعر الفلسطيني ، منشورات الجامعة،بنغازي.

26- سعيد ، أدوارد: 2000،خارج المكان ، ت، فواز الطرابلسي ، دار الآداب، بيروت .

27–السعافين ، إبراهيم :1987، تطور الرواية العربية الحديثة ، ط 2 ، دار المناهل ، بيروت .

28–الشامي، رشاد : 1997، إشكالية الهوية في إسرائيل ، دار المعرفة ، الكويت .

29– الصباغ ، رمضان :2004، الفن عند سارتر ، ط2، دار الوفاء، الإسكندرية .

30–الصايغ، وجدان عبد الإله : 2004، الأنثى ومرايا النص ، نينوى ، دمشق .

31 كشيك ، محمد: 1992، ملامح البطل المغترب ، مجلة فصول المصرية ، مج 1، ع3،

32– لحميداني ،حميداني 1985 ، الرواية المغربية ورؤية الواقع الاجتماعي دار الثقافة ، الدار البيضاء ،

33–– محمد، حسين علي : 1991، البطل في المسرح الشعري المعاصر، الهيأة المصرية العامة ، القاهرة

34 – النوري، قيس : 1985، الاغتراب اصطلاحا ،مجلة الفكر، ع10، الكويت .

35 – يقطين ، سعيد : 1989 ، تحليل الخطاب الروائي ، المركز الثقافي العربي، بيروت .